الباب الأول

الرهبنة حياة ملائكية

- طقس الملائكة بعيد عن الارتباط بالحس الجسدي
- طقس الملائكة هو التسبيح والصلاة الدائمة
- طقس الملائكة هو الوجود في الحضرة الإلهية
- طقس الملائكة الحراسة
- طقس الملائكة هو الطاعة الكاملة
- طقس الملائكة هو سرعة الاستجابة لأى أمر
- طقس الملائكة هو المحبة
- طقس الملائكة في انسجام ونظام

الباب الأول

الرهبنة حياة ملائكية

الرهبنة هي حياة ملائكية وهي طقس سمائي، لذلك يُدعى الرهبان [بشر سمائيون أو ملائكة أرضيون].[1] فإذا عاش الإنسان في الرهبنة كما يليق بطقسها يصير كالملائكة ويشعر بمنتهى الفرح والسعادة. لأنه ليس هناك ما هو أعظم من الرهبنة. إن المناصب العظيمة وكرامة الملوك لا تساوي الكرامة الرهبانية. وفي ذلك يذكر التاريخ الكنسي أن الملك قسطنطين أعلن إنه بالرغم من كل المجد الذي ناله إلا أن هذا لا يساوي مجد الرهبنة وعظمتها من الناحية الروحية.

نستطيع أن نقول إن الراهب هو مزمور، هو سيمفونية يعزفها الروح القدس كنغم في فم آساف أو كمزمور في قيثارة داود، هكذا تصير حياة الراهب كلها.

[1] بستان الرهبان، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بنى سويف والبهنسا، الطبعة الأولى ١٩٦٨، صفحة ١٦٢.

أهم شيء في بداية طريق الرهبنة هو أن يفهم الإنسان إنه خرج من العالم لكي يستعد للأبدية، أي أنه خرج لكي يتدرب على الحياة في السماء ويتصور شكلها وكيف تكون الحياة فيها. وبخروج الراهب من العالم ينتقل من حياة أرضية ملؤها الانشغال بالعالم وأموره أو حتى الانشغال بالخدمة في المجال الكنسي (فقراء، مرضى، شيوخ، أيتام، معوقين، تعمير، مدارس أحد إلخ.) إلى حياة روحية ملؤها الانشغال بالله، والارتباط به وحده، والحياة معه، وخدمته شخصيًا بالتسبيح والصلاة كالملائكة، فالرهبنة عموماً هي الحياة في طقس ملائكي.

١- طقس الملائكة بعيد عن الارتباط بالحس الجسدي

الرهبنة هي حياة يبتعد فيها الإنسان عن الارتباط بالحس الجسدي العالمي: برابطة الدم (الأهل) أو بالرباط الزيجي.

وعن **حياة البتولية** قال السيد المسيح "لأَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ" (مت٢٢: ٣٠)، لأن **الملائكة ليس لهم أجساد**. الجسد ينمو

وله حواس مختلفة، أما الأرواح فإنها تحيا في انطلاق وفي تسبيح، وتكون لذتها في العلاقة الروحية مع الله، وطعامها في تقبُّل المعرفة الإلهية.

الذي يتشبَّه بالملائكة لا يعيش حسب الجسد بل حسب الروح. كما قال معلمنا بولس الرسول "لأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ، وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ" (رو ٨: ١٣). ليس المقصود هو أن يجعل الراهب جسده عدوًا له، بل أن يكره أعمال الجسد، مثل الغيرة، والطمع، والشهوة وأمثال هذه الأمور التي تفسد الحياة الرهبانية.

٣- طقس الملائكة هو التسبيح والصلاة الدائمة

إن طقس السماء أولاً هو التسبيح والصلاة. فيقول القديس غريغوريوس في القداس الإلهي "أعطيتَ الذين هم على الأرض تسبيح السرافيم، اقبَل منا نحن أيضًا أصواتنا مع غير

المرئيين، احسبنا مع القوات السمائية". **فخدمة الصلاة والتسبيح هي خدمة مباشرة لله، وهي عمل الملائكة.**

إن مركز ومحور انشغال الملائكة هو التأمل في عظمة الخالق وفي روعة المجد الإلهي. والملائكة يتفاعلون مع هذه التأملات، فيطفرون فرحًا، وينطقون بالدهش والتسبيح، بأفواه لا تفتر وبحناجر لا تسكت، لأنهم يتقبلون موجات قوية جدًا من الإعلان الإلهي بلا انقطاع.

لو تخيلنا أن للملائكة قلوبًا تنبض[٢] فإن نبض قلوبهم هو التسبيح، ولو تخيلنا أن لهم شرايين تجري فيها الدماء، تكون الدماء هي الصلاة. يقول عنهم الكتاب المقدس: "الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا وَخُدَّامَهُ لَهِيبَ نَارٍ" (عب ١: ٧، انظر مز ١٠٤: ٤)، وهو بذلك يقصد أن قلوبهم ملتهبة بمحبة الله باستمرار، **وعلامة هذه المحبة أنهم يصرخون مسبِّحين للرب في كل حين؛** ولذلك نقول عن الملائكة في القداس الغريغورى

[٢] طبعًا الملائكة ليس لهم قلب لحمى مثلنا.

"يُرسلون تسبيح الغلبة والخلاص الذي لنا بصوت ممتلئ مجداً **يسبحون وينشدون ويصرخون ويصوتون..**" ونقول "**ونصرخ بما يرسله أولئك بأصواتٍ لا تسكت وأفواهٍ لا تفتر**".

حينما نقول إن الرهبنة هي طقس سمائي وحياة ملائكية فإننا نقول هذا لأن **الرهبنة هي حياة تسبيح وحياة صلاة دائمة.** والمفترض هو أن محبة الراهب للتسبيح تزداد يومًا بعد يوم. أما إذا ملَّ الراهب من الصلاة أو من التسبحة اليومية فهذا يعني أنه ترك طقسه الملائكي فكيف سيعيش في السماء؟

هناك سؤال على كل راهب أن يسأله لنفسه: هل حينما أذهب إلى السماء سوف أشعر بالملل من التسبيح هناك؟ الرد على ذلك هو **أنك إذا كنت تمل من التسبيح على الأرض فسوف تملّ في السماء.** وإذا كنت تريد أن تسرع في الصلاة والتسبيح كتأدية واجب أو إتمام قانون دون التأمل في المعاني بعمق فلن تستطع أن تقضي الأبدية في التسبيح. الأبدية التي

يقول عنها معلمنا بولس الرسول "مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (١كو٢: ٩).

٣- طقس الملائكة هو الوجود في الحضرة الإلهية

هناك ملائكة في السماء إلى جانب عملهم في تسبيح الله والوجود في حضرته إلا أن لهم رسالة في الخدمة، مثل الملاك غبريال الذي قيل عنه إنه "فِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ" (لو١: ٢٦)، وقال معملنا بولس الرسول "أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ" (عب١: ١٤). لكن هناك طغمة من الملائكة تُسمى ملائكة الحضرة الإلهية هذه الطغمة لا تُفارق العرش الإلهي. هي طغمة الكاروبيم التي تُظلل حول العرش، وتحمل العرش.

إننا **نشبّه الرهبان بملائكة الحضرة الإلهية الذين لا يشغلهم شيء عن الوجود في حضرة الله**. وإذا غادروا المشهد الإلهي

في أي وقت نعتبر أنهم هبطوا عن طقس حياتهم الروحية، مثل الشاروبيم والسرافيم المقربون إلى الله والذين لا يفارقون العرش الإلهي أبدًا.

يحدثنا بستان الرهبان وأقوال الآباء القديسين عن أن الرهبان إذا تكلموا في أمور خاصة باهتمامات عالمية باطلة تأتيهم الشياطين، أما إذا تكلموا في أمور روحية فتأتيهم الملائكة.

إياكم أن يشغل فكركم أو قلبكم شيء عن الحضور الدائم أمام الله، ولا حتى أعمال الدير أو وظائفكم في الدير مهما كانت. إن العمل لو تحوَّل في حد ذاته إلى هدف، وتعلّق القلب بهذا الهدف نكون قد هبطنا عن الطقس الملائكي الشاروبيمي الواجب علينا أن نحيا فيه كرهبان.

إن الطقس الشاروبيمي للحياة الرهبانية لا يعني التوقف عن العمل. فعندما ذهب القديس مقاريوس الكبير لزيارة القديس الأنبا أنطونيوس كانا كلاهما جالسين يعملان طوال الليل، وفي الصباح عندما رأى القديس أنطونيوس الضفيرة التي ضفرها

القديس مكاريوس متدلية من الطاقة قال [إن قوة كبيرة تخرج من هاتين اليدين]،[٣] واعتبر أن هذا الإنتاج الضخم لشغل اليدين دليل على أن الروح من الداخل تشتعل بمحبة ربنا.

لا تظنوا أن العمل يعطل الحياة الرهبانية، لأن عدم العمل يسبب الضجر والملل كما ورد في سيرة القديس الأنبا أنطونيوس.

لكن كيف يقدر الإنسان أن يمارس العمل وهو محتفظ بالوجود في الحضرة الإلهية باستمرار؟

للرد نقول إن العمل لابد أن يكون **في صمت ويكون مصحوبًا بصلاة قلبية**. وإن اضطررنا للكلام يكون فيما هو لازم وضروري فقط، وأيضًا فيما هو للبنيان.

علينا أيضًا أثناء العمل أن **ننشغل بتلاوة المزامير**. كل الآباء الرهبان القديسين كانوا يعيشون بهذا التدريب. وقالوا [إن عملت بيدك فليكن اللسان مزمرًا والعقل مصليًا].[٤] لذلك كلما

[٣] بستان الرهبان، صفحة ٢٩.
[٤] بستان الرهبان، صفحة ١٣٣.

قللنا كلامنا أثناء العمل كلما كان أفضل. وإن تكلمنا **لا يخلو كلامنا من ذكر الله**.

إذا تأملنا في المزمور الكبير الذي نصليه في الخدمة الأولى من صلاة نصف الليل نجد أنه لا تخلو فيه عبارة من كلمة "وصاياك" أو "حقوقك" أو "ناموسك" أو "شرائعك" أو "شهاداتك" أو "كلامك" مثل قوله: "تاقت نفسي إلى خلاصك وعلى **كلامك** توكلت.. كلت عيني من انتظار **أقوالك** قائلتين متى تعزيني.. صرت مثل زق في جليد و**لحقوقك** لم أنس" (مز١١٩ (١١٨): ٨١-٨٣). كل عبارة يذكر فيها شيء يخص الله، فلا تخلو عبارة من ذكر وصايا الله أو كلامه أو اسمه. هذا المزمور به أسرار، وكأنه مخصص للكاملين طريقًا الذين يريدون أن يلهجوا في وصايا الله بلا فتور، وفي بدايته يقول "طوباهم الذين بلا عيب في الطريق" (مز١١٩ (١١٨): ١). هذا المزمور يعلِّم الإنسان كيف يجعل وصايا الرب وأحكامه وكلامه هو موضوع شهوة قلبه باستمرار.

المهم أن يكون الله هو محور اهتمام القلب الداخلي. إياكم أن تفقدوا الهدف في الرهبنة لأن [كثيرون غرقوا في ميناء الرهبنة]،[٥] بسبب ضياع الهدف وهذا أمر خطير جدًا. **الهدف هو أن نحيا حياة ملائكية سماوية.**

إن خدمة الشاروبيم والسرافيم الذين هم ملائكة الحضرة الإلهية، كما قلنا، هو التسبيح باستمرار، فلا يحارَبوا أبدًا بفكرة الخدمة لأنهم شباعى في كل حين من التأمل في الإلهيات، كما أنهم يعرفون طبيعة رسالتهم أن لهم خدمة مباشرة لله.

إن الحياة الرهبانية ليست حياة بدون نفع وإلا يكون وجود الشاروبيم والسرافيم الذين عملهم فقط هو التسبيح والوجود في الحضرة الإلهية هو بلا نفع أو فائدة.

٤- طقس الملائكة الحراسة

ذكر في سفر التكوين أنه بعدما أخطأ آدم وطُرد من الفردوس أن الله أرسل كاروبيم لحراسة طريق شجرة الحياة (أنظر تك

[٥] انظر بستان الرهبان، صفحة ٣٩٣.

٣: ٢٤). هذه إحدى وظائف طغمة الكاروبيم، لكن لو عرفتم إن شجرة الحياة هي المسيح، إذن **الحراسة هي لطريق الحياة مع المسيح** الذي قيل عنه إنه "هُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ أقنومِهِ" (عب١: ٣) أي رسم أو صورة أقنوم الآب.

إن الحياة الرهبانية تعتبر حياة سمائية ملائكية، فالرهبان هم [ملائكة أرضيون أو بشر سمائيون] كما قلنا، بل نستطيع أن نعتبرهم حلقة الاتصال بين السماء والأرض من الناحية الروحية. فإذا كان الناس يكافحون في حياتهم على الأرض، والسمائيون منشغلون بالأمور السمائية، **فالرهبان هم أناس منشغلون بالكنيسة قلبيًا ومنشغلون بالسماء روحيًا. وهم يربطون الكنيسة بالسماء باستمرار. هم حراس الأسوار الذين يسهرون ليلًا ليحرسوا أسوار الكنيسة من الذئاب الخاطفة.** ينادي عليهم إشعياء النبي "يَا حَارِسُ مَا مِنَ اللَّيْلِ؟ يَا حَارِسُ مَا مِنَ اللَّيْلِ؟" (إش٢١: ١١).

الملائكة في السماء يصلّون من أجل الكنيسة، ومن أجل خلاص الخطاة. هكذا علينا في الرهبنة أن نصلي من أجل الكنيسة، ومن أجل الإيمان، ومن أجل خلاص الناس، لأن الرهبان مثل الملائكة عملهم هو الصلاة.

إن الرهبان هم حراس الأسوار بالنسبة للكنيسة. لأننا نعرف أن هناك حربًا روحية بين مملكة إبليس وبين الكنيسة باستمرار، وهناك سهام ملتهبة نارًا موجهة ضد الكنيسة. فلو انشغلت الكنيسة بالخدمة فقط سيكون ظهرها مكشوفًا، مثل جندي يحارب وليس هناك ما يحمي ظهره، فإذا أتاه سهم من خلف ينهي حياته.

الرهبان هم الذين يحمون ظهر الكنيسة من سهام الشياطين، حتى وإن كانوا هم أنفسهم لا يدركون ذلك أو يقصدونه. إن **مجرد انجذابهم نحو الله ومحبتهم للمسيح وحياتهم معه باستمرار حيث تتقدس أفواههم بذكر اسمه في كل حين يكفي لحماية الكنيسة كلها.**

الدليل على ذلك هو أن الله بعدما قرر حرق سدوم وعمورة (وكانتا أعلى مثال في الانحلال الذي يجلب غضب الله)، يقول الكتاب "فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ. أَفَتُهْلِكُ الْمَكَانَ وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟ حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلًا؟" فَقَالَ الرَّبُّ: إِنْ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ خَمْسِينَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ، فَإِنِّي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ" (تك ١٨: ٢٣-٢٦). إذن **وجود أبرار يمنع غضب الله عن المكان كله**.

من أجل هذا تفرح الكنيسة بكل إنسان يحيا في حياة الرهبنة المقدسة، ويحيا في طقسه المبارك، لأنها بذلك **تكسب رصيد يجعل الله يرضي عنها**.

أنتم تعرفون قصة الراهب الذي أتقن فضيلة المحبة، الذي في وقت المجاعة أتاه قوم طالبين خبز فأعطاهم كل ما عنده

وظل جائعًا بفرح وشكر لأن الله أعطاه فرصة أن ينفذ وصية المحبة، إلى أن أتاه صوت من السماء قائلاً من أجل تنفيذك للوصية ومحبتك للآخرين لن أجلب جوع على الأرض طول أيام حياتك.[٦] وهذا ما حدث فعلاً. إنه راهب واحد مسكين يحيا في مغارة في البرية، قدَّم الثلاث خبزات المتبقية له في وقت المجاعة وظل هو جائعًا، فرفع الله الجوع عن الأرض كلها مدة حياة هذا الإنسان. لو كل البطاركة والأساقفة والقسوس والخدام اجتمعوا ليقدموا طلبات لله بألا يجلب جوعاً على الأرض مدة ثلاثون أو أربعون عامًا ربما يستجاب لهم أو لا يستجاب. لكن إنسان واحد يحيا حياة نقية مقدسة منفذًا وصية الله يستطيع أن يجلب رضاء الله وخيره حتى إن لم يطلبه بلسانه (ربما كان هذا الراهب يصلي في قلبه أن يرفع الله الجوع عن العالم).

[٦] انظر بستان الرهبان، صفحة ٤٤٢.

العالم يحتاج أن يجد الله فيه موضعًا يستريح فيه، يحتاج أن يجد مكانًا يسند فيه رأسه. فكن قلبًا يستريح الله فيه.

لو جاءك فكر وأنت في الدير إنه لا يوجد من يرضي قلب الله بالتمام، أو ظننت أن هناك أوضاع معينة لا تتفق مع مبادئك الرهبانية، حينئذ وبِّخ نفسك وحدها وقل لماذا لا أكون أنا هذا القلب الذي يستريح الله فيه بدلاً من أن أدين غيري؟ لماذا لا أكون أنا هو هذا الموضع الذي يستطيع الرب يسوع أن يسند فيه رأسه، ليس بجدال وغضب ومشاحنات ولكن في وداعة الحكمة وفي بساطة وفي محبة كاملة للكل؟ ربما هذه الطريقة في التفكير تحل مشكلة من يتعبون من بعض الأمور التي لا تعجبهم مع أنه من الممكن أن يكون حكمهم هم هو الغير صحيح.

في نفس الوقت من الممكن أن يجد الراهب حوله في الدير قديسين هو يشعر أنه لا يستحق التراب الذي تطأه أرجلهم.

أحيانًا تمر على الراهب مشاعر أو أفكار متنوعة، فتارة يشعر أنه لا يستحق أن يحيا في الدير لأن كل من بالدير قديسون ماعدا هو. وتارة يأتيه فكر إدانة. فلو شعر أنه غير مستحق أن يعيش وسط جماعة القديسين، يقول أنا محتاج أن أحيا وسط قديسين لأتعلم منهم، لأني لو تركتهم من سيعلمني ومن سيسكب فيَّ بغنى المواهب الروحية من خلال التلمذة. وإن أتاه فكر إدانة يقول أنا مسئول أن أريح قلب الله ولست مسئولاً عن غيري. هكذا في كل الأحوال يستطيع الراهب أن يستفيد روحيًا من حياته في الدير.

٥- طقس الملائكة هو الطاعة الكاملة

إلى جانب خدمة التسبيح، وعدم مفارقة الحضرة الإلهية باستمرار، وإلى جانب التجرد من كل اهتمام آخر غير الله، فإن طقس الملائكة هو الطاعة الكاملة. والدليل على ذلك أن **الكاروب الذي لم يسلك في الطاعة سقط وصار شيطانًا**

بالرغم من بهائه الروحاني. هكذا مهما كانت قامة الراهب الروحية فإنه إذا لم يسلك في الطاعة يفقد هذه القامة.

وتكون الطاعة في الرهبنة لمن أقامهم الرب علينا مدبرين، ومن تسمح بهم عنايته الإلهية. بفكرنا الخاص سنوجد أسباب كثيرة لعدم الطاعة، ومبررات ما أكثرها، لكن بحسب الناموس الإلهي وبحسب فكر الله يقول معلمنا بولس الرسول عن السيد المسيح "الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، **وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ.** مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ" (عب٥: ٧،٨). أي بالرغم من إنه مساوي للآب في الجوهر وفي الكرامة فقد **أطاع حتى الموت** موت الصليب. وهذه هي الطريق المؤدية للحياة الأبدية كما علمنا إياها السيد المسيح بشخصه المبارك. **كما أن الإنسان الذي يسلك في الطاعة يستجيب الله لصلاته بسرعة، فقد كتب معلمنا بولس الرسول أنه "سُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ"** (عب٥: ٧).

إذن الذي يريد أن يستجيب الله لصلاته ويعطيه كل الآمال والأحلام الروحية التي يتمناها في حياته الرهبانية، عليه أن **يسلك في الطاعة حتى يرضى قلب الله عنه حيث أنه بذلك يقدِّم صورة المسيح** الذي أطاع الآب حتى الموت. لذلك وصية الرهبنة تقول "أطع من يرشدك في طريق الله إلى حد الموت".

من الممكن أن يعرض الراهب إمكانياته في وداعة وفي محبة. ليس كنوع من الاحتجاج والتمرد أو عدم الطاعة أو التباهى ولكن كنوع من إدخال المسئولين في أطار معرفة إمكانياته، ثم يتركهم يقرروا ما يروه مناسبًا وعليه أن يطيع. والمفترض أن المسئول أو المرشد الروحي لن يطالب الراهب بشيء ضد وصية ربنا. أما في حالة أن يطالب المرشد أو المسئول ما فيه كسر لوصية المسيح ففي هذه الحالة فقط يكون الراهب غير ملزم بالطاعة. والوصايا معروفة وواضحة جدًا مثل لا تقتل أو لا تزن لا تسرق إلخ.

يسلك الإنسان في الحياة الرهبانية في حياة روحية بعيدًا عن كل ما هو ضد وصايا الله وبعيدًا عن الخطية. **فإذا أكمل الراهب ناموس الطاعة فقد صار متشبهًا بالملائكة،** ويستحق أن ينال شركة ميراث القديسين في النور (انظر كو ١: ١٢)، ويوجد في وسط طغمة التسبيح الدائم أمام الله ويفرح ويترنم أمام الله.

٦- طقس الملائكة هو سرعة الاستجابة لأى أمر

الملائكة يسمعون صوت الله ويستجيبون بسرعة لأوامره ووصاياه؛ فقد كتب في سفر المزامير "بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلاَئِكَتَهُ الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةً، **الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلاَمِهِ**" (مز ١٠٣: ٢٠). هكذا يجب أن تكون حياة الراهب هي كمال وسرعة تنفيذ الوصية.

قال السيد المسيح: "خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي" (يو ١٠: ٢٧). إن الخراف الحقيقية تستطيع أن تميّز صوت الراعي ولا تعرف صوت الغريب بل تهرب منه. لذلك قال السيد المسيح

لبيلاطس البنطي "كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي" (يو ١٨: ٣٧).

كما أن الملائكة ينفّذون الوصية مهما كان يصعب تنفيذها. فمثلًا حينما أرسل الله الملاك جبرائيل ليبشر العذراء مريم بأنها سوف تلد ابنًا من الروح القدس هو ابن الله، بمعني أن الله سوف يتجسد، طبعًا هذه تعتبر حقيقة مذهلة بالنسبة للملائكة لكن كلام ربنا بالنسبة لهم أحلى من الشهد والعسل. هكذا الراهب والإنسان الروحي الذي يعيش حياة ملائكية عليه أن ينفِّذ الوصية مهما كانت وبسرعة ليسير في طريق الكمال الروحي.

٧- طقس الملائكة هو المحبة

المحبة هي من أبرز الأمور الموجودة في السماء. المحبة لله أولاً طبعًا، ثم المحبة بين الملائكة بعضهم البعض، وبين القديسين بعضهم البعض، وبين الملائكة والقديسين. قال معلمنا بولس الرسول "لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ الَّذِي فِيهِ أَيْضًا نِلْنَا نَصِيبًا" (أف١: ١٠،١١).

إن الدليل على محبة الملائكة للبشر أنهم يسبحون الله على خلقته للكون قائلين "أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ" (رؤ٤: ١١)، كما أنهم يسبحونه على عمله الخلاصي وأنه اشترى البشر بدمه قائلين: "لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَ لِلَّهِ بِدَمِكَ" (رؤ٥: ٩).

شيء محرج أن يكون البشر غير قادرين على محبة بعضهم البعض بقدر محبة الملائكة لهم. من المُفْترض أن يقول الملائكة لا علاقة لنا بالبشر.. لكن هذا لا يحدث أبداً.. لماذا؟ فلنسأل أنفسنا لماذا تحبنا الملائكة؟ للرد نقول إن **الملائكة يحبوننا لأن الله يحبنا.** كما قال معلمنا يوحنا الرسول **"كُلُّ مَنْ يُحِبُّ الْوَالِدَ يُحِبُّ الْمَوْلُودَ مِنْهُ أَيْضًا"** (١يو ٥: ١)، فالذي يحب الله يحب أولاده.

في ذلك يقول أيضاً القديس يوحنا الرسول عبارة عجيبة بل مخيفة: "لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، **وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ. وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ**" (١يو٤: ٧-٨).. ويقول "نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ **انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ، لأَنَّنَا نُحِبُّ الإِخْوَةَ.** مَنْ لاَ يُحِبَّ أَخَاهُ يَبْقَ فِي الْمَوْتِ" (١يو ٣: ١٤)، أي بهذا نعرف أننا قد ولدنا من الله لأننا نحب الإخوة. بمعنى أن محبة الأخوة هي مقياس الميلاد الفوقاني والطبيعة الجديدة. فالذي لا يحب إخوته هناك شك في ولادته الجديدة. طبعًا الولادة الجديدة تمت بالمعمودية، لكن لا توجد ثمرة محسوسة أو علامة تدل عليها إلا المحبة. لذلك قال السيد المسيح "**بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ**" (يو١٣: ٣٥). فالتلمذة للمسيح علامتها هي المحبة.

إذن السماء مملوءة بالحب ومملوءة انشغال بربنا وفرح بمجده كما قال بولس الرسول أيضًا "لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ" (أف١: ٦).

إن من يدخل في طريق الرهبنة لابد أن يتمرن على الحياة في السماء. وكل شيء في السماء يريد أن يطبقه هنا على الأرض، كما علمنا السيد المسيح أن نقول "كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ" (مت٦: ١٠). **السماء مملوءة حباً فيحاول أن يملأ الدنيا حباً. وهذا الحب ليس بالكلام لكن الحب هو عطاء وتضحية واحتمال.**

يتكلم معلمنا بولس الرسول عن المحبة بتفاصيل كثيرة فيقول "الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَنْتَفِخُ وَلاَ تُقَبِّحُ وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا وَلاَ تَحْتَدُّ وَلاَ تَظُنُّ السُّوء وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ

تَسْقُطُ أَبَدًا" (١كو١٣: ٤-٨). وضعها في نقاط محددة لكي نعرف ما هي المحبة؛ ما الذي تعمله وما الذي لا تعمله.

الذين ترهبوا معًا في نفس اليوم مثلاً يعتبروا أخوة في الرهبنة وتكون بينهم محبة خاصة. كما أنه من المتوقع أن الشاروبيم والسرافيم يحبون بعضهم بعضًا لكن من المتوقع أيضًا أن طغمة السرافيم تجمعهم معًا محبة خاصة. ورئيس الملائكة ميخائيل والجيش الذي له تجمعهم محبة خاصة. يذكر سفر الرؤيا أن "مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ. وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ. وَلَمْ يَقْوُوا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّمَاءِ" (رؤ١٢: ٧، ٨). وعبارة "ميخائيل وملائكته" تعني أنهم طغمة تعمل معًا، قد يطلبوا مساعدة مجموعة ثانية لكنهم يمثلون طغمة معينة، ولم يعترض الله على هذا الوضع.

أريد أن أوصل لكم هذا المفهوم: أنه من المفروض إنكم كراهبات أن تحبوا راهبات كل الأديرة، وكرهبان أن تحبوا رهبان كل الأديرة، لكن هناك أمرًا مبدئيًا هو إنكم لابد أن تكون

بينكم وبين راهبات أو رهبان الدير الذي تعيشون فيه محبة خاصة، وهذا شيء طبيعي. على ألا تؤدي هذه المحبة إلى نوع من الانعزال والانحسار والرفض للآخرين. فالدير هو المكان الذي يمارس فيه الحب نتيجة التواجد والحياة المشتركة، لذلك لابد أن يكون بين أعضاء المجتمع الرهباني الواحد محبة، ثم بين جماعات الرهبان عمومًا كما قلنا عن الملائكة.

الدليل على وجود محبة بين الملائكة هو أن الملائكة القديسين يحبون بعضهم بعضًا، أما الشياطين فكرهوا الملائكة القديسين. إذن هناك كراهية من جانب الشياطين ومحبة بين الملائكة الأبرار. لكن الملائكة القديسين لا يكرهون الملائكة الأشرار إنما يكرهون الشر الذي يعملوه، ويكرهون عداوتهم لله، ويكرهون شكايتهم أمام الله ضد القديسين.

السماء كلها محبة، وهذا ما طلبه الله من البشر وبالأخص الرهبان الذين اختاروا أن يحيوا حياة سمائية في قوله "يَا

ابْنِي أَعْطِنِي قَلْبَكَ وَلْتُلاَحِظْ عَيْنَاكَ طُرُقِي" (أم ٢٣: ٢٦). فالإنسان الذي كرَّس حياته لله لابد أن يكون قلبه كله لله وليس لأحد غيره.

تقول الوصية الأولى "**تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ**" (تث ٦: ٥). فلا يشْترِك أحد مع الله في هذا الحُب، بمعنى أن محبة ربنا يجب أن تكون فوق كل اعتبار. وعندما سُئل السيد المسيح عن أية وصية هي العظمى قال "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (مت ٢٢: ٣٧-٣٩، انظر لا ١٩: ١٨)،

قال السيد المسيح أيضًا "مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي" (مت١٠: ٣٧). إن **محبة الله هي التي تجعل الإنسان يتحَرَّر**

مِن كل شيء في الوجود، فيذوب في تلك المحبة، ولا يعُطِله عنها أمر.

وبعدما يبدأ الإنسان في انطلاقه نحو محبة الله التي لا يشاركه فيها أحد نهائيًا، يبدأ بعدها في محبة الناس محبة سليمة، لأن "اللهُ مَحَبَّةٌ" (١يو ٤: ١٦) فالله يُحب الخليقة وهو مُحب البَشر.

إن الأمر الذي يثير العجب هو أن محبة القريب تكون دليلاً على أن محبة الشخص لله هي محبة صادقة. كقول القديس يوحنا الرسول "**إِنْ قَالَ أَحَدٌ: إِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ.** لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ" (١يو ٤: ٢٠)، أي أن **محبة القريب هي العَلامة على محبة الإنسان لله.**

أما الذي يُحب القريب أكثر من الله فهذا لا يسير في الطريق الصحيح. ينبغي أن يُحِب الإنسان الله جدًا، ثم تظهر علامة محبته لله في محبته للناس محبة طاهرة مقدسة، عبّر عنها

معلمنا بطرس الرسول بقوله: "فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ" (١بط ١: ٢٢).

ومحبة شخص للآخرين ليست بكثرة الحديث، إنما مثلاً بأن يحث بعضهم بعضًا على الصلاة من أجل خلاص العالم كله، لأن الراهب الذي يعيش في الدير وسيلته الأساسية في التعبير عن محبته للخليقة هي في أن يُصلي من أجل خلاص العالم.

لا يوجد تعارُض بين محبة الله ومحبة القريب، بل الثانية دليل على الأولى، لكن الأولى لا يصِح أن يشترِك فيها أي إنسان.

لقد أعطى الله موسى النبي الوصايا في لوحَين، الوصايا الخاصة بالله في اللوح الأول والوصايا الخاصة بالقريب في اللوح الثاني، كذلك أيضًا السيد المسيح قال "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (مت ٢٢: ٣٧-٣٩). أي أن السيد المسيح جعلهما

وصِيَتين ولم يُدمِجهما في وصية واحدة، لكي يُفهِمنا أنه لا يستطيع أحد أن يجعل القريب يشترك في محبة الله التي في القلب.

يذكرنا هذا بمحبة الآب للابن والابن للآب، إنها محبة تفوق الخيال والتصوُّر والوصف، هي محبة فريدة وغير محدودة، لا يمكن للخليقة أن تتصورها أو تصِفها. لكن، الحب الذي بين الآب والابن والروح القدس لا يمنع أن يجعل الثلاثة أقانيم يحبون الخليقة بقوة وبصورة قال عنها السيد المسيح "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَي لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو٣: ١٦). وقد تكلم السيد المسيح عن هذه النُقطة وقال للآب في صلاته الوداعية: "أَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي" (يو١٧: ٢٣).

أما عن محبة القريب فقال السيد المسيح: "**تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ**" (مت ٢٢: ٣٩، انظر أيضًا لا ١٩: ١٨). أي أن أقل درجة تحب بها القريب هي أن تحبه "كَنَفْسِكَ". ويقول

السيد المسيح "هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو ١٥: ١٢،١٣)، أي يجب أيضًا أن **تتضمن محبتك للقريب البذْل والتضحِية**.

الخُلاصة هي أن محبتنا لله يَجِب أن تفُوق كل حُب آخر، وهي نفسها التي تجْعلنا نستطيع أن نُحب الناس ونخدمهم ونصلي من أجلهم، أو يكون لنا دور فعَّال في حياتهم، فننشُر الحب بينهم. لهذا قال معلمنا يوحنا الرسول "نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ **انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ لأَنَّنَا نُحِبُّ الإِخْوَةَ**. مَنْ لاَ يُحِبَّ أَخَاهُ يَبْقَ فِي الْمَوْتِ" (١يو ٣: ١٤). وقال "بِهذَا أَوْلاَدُ اللهِ ظَاهِرُونَ وَأَوْلاَدُ إِبْلِيسَ: **كُلُّ مَنْ لاَ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ، وَكَذَا مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ**" (١يو ٣: ١٠).

إن "الله محبة" فالذي يتحِد بالله الذي هو المحبة لابد أن تكون لديه طاقة حُب لا تتوقَّف نحو الآخرين. لذلك يقول معلمنا بولس الرسول عن المحبة إنها "تَحْتَمِلُ كُلَّ شيء

وَتُصَدِّقُ كُلَّ شيء وَتَرْجُو كُلَّ شيء وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شيء" (١كو١٣: ٧).

ليس صحيحًا أن يقول أحد: "لقد أحببتُ بما فيه الكفاية.. ليس عندي طاقة للحب أكثر من ذلك.. استنفذتُ كل طاقة الحب التي عندي..". لا.. لا ينبغي أن تتوقَّف محبتنا للقريب بل لابد أن تستمر بل تزيد.

طبعًا محبتنا للقريب ستظل محدودة بحكم أننا محدودون، ليس بسبب قصور ولكن بسبب أن الخليقة محدودة. أما الله فهو الغير محدود، الذي تظل محبته لنا فوق كل الوصف كما قال القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات في قداسه "**ليس شيء من النطق يستطيع أن يحد لجة محبتك للبشر**".

٨- طقس الملائكة في انسجام ونظام

السماء طبعًا لا يوجد بها شجار.. فلا يمكن مثلاً أن نتخيل أن يتشاجر الملاك ميخائيل مع الملاك غبريال، لأن السماء كلها حب وبر وسلام وسرور وفرح وسعادة وتهليل. كما أن السماء

بها نظام لأن الكتاب يقول "وَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ" (١كو١٤: ٤٠)، وكل طغمة تعرف عملها. فمثلاً الأربعة والعشرون شفيعًا حاملين قيثارات وجامات ويطرحون تيجانهم ويخرون ساجدين.. لهم نظام system معين، ولهم تسابيح سُجلت في سفر الرؤيا، وقد بدأوا يقولون ترنيمة جديدة بعد تتميم الفداء وهم يرفعون بخورًا هو صلوات القديسين.

والأربعة أحياء غير المتجسدين يمثّلون مركبة الكاروبيم. عندما رآهم حزقيال النبي (انظر حز ١٠) رأى لكل واحد أربعة أوجه، أما يوحنا الرائي فقد رأى لكل منهم وجهًا واحدًا (انظر رؤ ٤: ٧). والسبب هو أن يوحنا الرسول عاش الأحداث متتالية أما حزقيال النبي فقد نظرها من بعيد. مثال توضيحي: إذا صعدت فوق سطح بناء عالٍ ونظرت إلى سيارة تقف أسفل البناء فإنك ترى الأربعة جوانب، أما إذا اقتربت لتركب السيارة فإنك ترى جنبًا واحدًا فقط. يوحنا الرسول عاصر

التجسد والصلب والقيامة والصعود لذلك رأى الإنسان والعجل والأسد والنسر لأنه يقف على مقربة من الحدث.

نقول إن هناك نظامًا في السماء وكل ملاك أو طغمة تعرف اختصاصاتها. لا نتخيل طبعًا إن أحد الأحياء الغير متجسدين مثلاً يترك العرش السماوي ويذهب ليعمل شيئًا آخرًا هو غير مكلَّف به. كما لا نتصور أن يترك خمسة أو ستة من الأربعة والعشرين شفيعًا مكانهم في السماء للقيام بعمل آخر.

هناك نظام في السماء: ملائكة مخصصين لمحاربة إبليس مثل ميخائيل وجيشه، وملائكة يرفعون صلوات القديسين هم الأربعة وعشرين شفيعًا، وملائكة حاملين عرش الله هم الأربعة الأحياء غير المتجسدين من طغمة الكاروبيم.

من ضمن الأشياء العجيبة عن الملائكة كما وصفها يوحنا الرسول في سفر الرؤيا أنهم **عندما يقولون ترنيمة يقولونها معًا، دون أن يطلب منهم أحد** أن يفعلوا ذلك. فهم مثلًا في الترنيمة الأولى يقولون "أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ

الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَت" (رؤ٤: ١١)، وبعد ذلك الترنيمة الجديدة "مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْحَمَلُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ. وَكُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ وَتَحْتَ الأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ، كُلُّ مَا فِيهَا، سَمِعْتُهَا قَائِلَةً: لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمَلِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ وَكَانَتِ الْكائناتُ الحية الأَرْبَعَةُ تَقُولُ: آمِينَ. وَالشُّفعاء الأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ خَرُّوا وَسَجَدُوا لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤ٥: ١٢-١٤).

في وقت السجود يسجدون كلهم، وفي وقت التسبيح يسبحون معًا. وكل منهم يعرف ما سيقوله الآخر. وكلهم يسبحون تلقائيًا ولا يلقن أحد غيره. كيف ذلك؟ ماذا تعني هذه الترنيمة الجديدة؟ كل منهم يقولها بناءً على ماذا؟ ألوف ألوف لهم هتاف واحد في انسجام harmony بفم واحد يسبحون بلا فتور، فما هو السر؟

السر هو أن الروح القدس يعزف على قيثاراتهم، أي أن هناك عنصر الإلهام. وقد ذكر القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات في قداسه لقطة من هذا المشهد فقال "**يصرخون واحد قبالة واحد منهم**". ماذا تعني هذه العبارة؟ تعني أنهم "يرابعوا" (كلٍ منهم يقول ربع) كما يحدث في التسبحة والمردات الكنسية. مثلما ذكر في رؤيا إشعياء: "**وَهَذَا نَادَى ذَاكَ:** قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ. فَاهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ مِنْ صَوْتِ الصَّارِخِ وَامْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا" (أش٦: ٣،٤). عبارة "هَذَا نَادَى ذَاكَ" تبيِّن أن هناك تناغم وتناسق عجيب.

يقول يوحنا الرائي "وَلَمَّا أَخَذَ السِّفْرَ خَرَّتِ الأَرْبَعَةُ الْحيواناتُ والأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيخًا أَمَامَ الْحَمَلِ، وَلَهُمْ كُلِّ وَاحِدٍ قِيثَارَاتٌ وَجَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوَّةٌ بَخُورًا هِيَ صَلَوَاتُ الْقِدِّيسِينَ" (رؤ٥: ٨). **سجدوا تلقائيًا وهم يرنمون:** "مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَ لِلَّهِ بِدَمِكَ

مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَهم لإِلَهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً.. وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ.. وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ" (رؤ٥: ٩-١١).

ما هذا؟! إنه أمر عجيب!!

الربوة عشرة آلاف، وربوات ربوات ten thousand times ten thousand

أي عشرة آلاف × عشرة آلاف، أي مئة مليون، "قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْحَمَلُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ" (رؤ٥: ١٢).

ويقول يوحنا الرائي "وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ" (رؤ٥: ١١).

كيف رأى مئات الملايين؟ تصور أنك في ميدان به عشرة آلاف شخص فإنك بالكاد ترى آخرهم، لكن من المستحيل أن ترى مئات الملايين. أنه منظر مهيب جدًا... كل هؤلاء يهتفون بصوت واحد عظيم...

هكذا نحن أيضًا حينما نسبِّح معًا بقوة فإن هذا يعطي إحساس بوحدانية القلب والفكر والروح.

هناك في السماء مئات الملايين يسبحون الله بصوت عظيم ارتجت له أساسات السموات. كما يقول أشعياء النبي: "وَهَذَا نَادَى ذَاكَ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ. **فَاهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ** مِنْ صَوْتِ الصَّارِخِ وَامْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا" (أش٦: ٣،٤). اهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ.. تخيلوا واحد يقول "قدوس" فيهتز لصوته مبنى بأكمله!

السماء بها نظام هكذا يجب أن تكون قلايتك منظمة، ومواعيدك منظمة، وبرنامجك منظم، وعملك منظم "وَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ" (١كو١٤: ٤٠) كما قال معلمنا بولس الرسول "لأَنَّ اللهَ لَيْسَ إِلَهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلَهُ سَلاَمٍ" (١كو١٤: ٣٣).

خاتمة

لابد أن تعتادوا التفكير في السماء وما فيها وتحاولوا تطبيق ذلك في حياتكم وفي الدير.

أود أن أضيف أن كل شخص إذا ذهب إلى السماء يتمنى أن يذهب إلى هناك مرة أخرى، بل ويعد الأيام من شوقه أن يراها. هكذا يجب أن كل من يزور الدير يشعر بجو ملائكي وسماوي، يشعر إنه يطير من الفرح ولا يريد أن يترك المكان، وإن تركه يريد أن يعود إليه مرة أخرى.

نقطة أخيرة هي أن **السماء بها عرش الله فهل حياتكم بها عرش لله**؟ والسماء بها المسيح فهل المسيح موجود في حياتكم باستمرار؟ الإنسان المنشغل بالسماء يعيش في جو سماوي، أما المنشغل بالأرضيات فيبتعد عنها "لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا" (مت٦: ٢١).

الباب الثاني

البداية القوية

- قد ذكرت لك غيرة صباك
- الاشتياقات الأولى
- الرهبنة هي طريق الكمال الروحي
- منهج الإنسان في حياته الرهبانية
- الفضيلة لا تُبنى على حساب فضيلة أخرى
- يسوع المسيح هو الأساس
- ضرورة الصمود في بداية الطريق
- الالتزام بحياة الغربة والموت عن العالم
- تذكر الهدف والعهود طوال الطريق
- المحبة هي المقياس للطريق
- خطورة تفصيل الوصية
- مدرسة المزامير
- المحبة تقود إلى التمييز والإفراز
- كيف نحافظ على الغيرة الروحية والبداية القوية

الباب الثانى

البداية القوية

"قَدْ ذَكَرْتُ لَكِ غَيْرَةَ صِبَاكِ"

يقول المرتل في سفر المزامير **"تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الْقِدَمِ**. لَهَجْتُ بِكُلِّ أَعْمَالِكَ. بِصَنَائِعِ يَدَيْكَ أَتَأَمَّلُ" (مز١٤٣: ٥). ويقول السيد الرب: **"قَدْ ذَكَرْتُ لَكِ غَيْرَةَ صِبَاكِ مَحَبَّةَ خِطْبَتِكِ ذِهَابَكِ وَرَائِي فِي الْبَرِّيَّةِ فِي أَرْضٍ غَيْرِ مَزْرُوعَةٍ"** (أر٢: ٢).

ليس الإنسان وحده هو الذي يتذكر الأيام القديمة بل الله أيضًا يتذكر غيرة الصبا.

قال الرب لبني إسرائيل إنه يتذكر غيرة صباهم عن خروجهم من أرض مصر إلى برية سيناء إلى صحراء جرداء ليس فيها ماء، بعد أن واجهوا البحر الأحمر وخطورة الانحصار بينه وبين جيش فرعون.

ويقول معلمنا بولس الرسول إنه بالإيمان ذبح بنو إسرائيل خروف الفصح (انظر عب ١١: ٢٨) ووضعوا الدم على العتبة العليا والقائمتين؛ فعبر الملاك في كل أرض مصر وضرب أبكار المصريين ونجا كل بنى إسرائيل.. **كانت البداية قوية**..

أكلوا خروف الفصح مشويًا بالنار وأحذيتهم في أرجلهم وهم متمنطقين أي مستعدين للسفر. أكلوا خروف الفصح وهم على وشك الرحيل وعجينهم لم يختمر بعد (لذلك كانوا كلما يُعيدون الفصح يأكلون فطيرًا أي خبز غير مختمر).

كان الموقف جبارًا..

في ليلة واحدة خرج ملايين من شعب إسرائيل بعدما عاشوا في أرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة. خرج حوالي ثلاثة ملايين: ستمائة ألف رجل من سن عشرين إلى ستين سنة ما عدا النساء والأطفال والشيوخ. وكان عدد الإناث يفوق عدد الذكور لأن فرعون في وقت ولادة موسى كان يقتل المولودين من الذكور. أي ستمائة ألف ذكر وما يقابلهم من الإناث، ثم

الذكور والإناث الذين يتخطى عمرهم الستين أو ينقص عن العشرين. وبالتالي يمكن أن يصل العدد الكُلي إلى حوالي ثلاثة ملايين.

خرجوا دفعة واحدة.. جيش ضخم جدًا.. ليلة لا تُنسى عبر الأجيال.

كان خروجًا من أرض عاشوا فيها زمانًا طويلاً، خروجًا من وسط مجتمع له تقاليد وعادات صارمة هو مجتمع المصريين، خروجًا من وسط شعب له جيش مُسلّح بمركبات فرعون، خروجًا محاط بمخاطر كثيرة جدًا، خروجًا **إلى برية قفرة** كانوا يعرفون أنه ليس بها طعام ولا ماء.

لقد شق موسى النبي البحر الأحمر بعصاه لكننا نستطيع أن نقول إن غيرة الشعب وحماسه شقا البحر، لذلك يقول معلمنا بولس الرسول "**بِالإِيمَانِ اجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ الأَحْمَرِ**" (عب ١١: ٢٩) ويقول أيضًا "وَجَمِيعَهُمُ **اعْتَمَدُوا لِمُوسَى** فِي

السَّحَابَةِ وَفِي الْبَحْرِ" (١كو١٠: ٢). والعلاقة بين المعمودية والإيمان معروفة.

لقد عبَر بنوا إسرائيل البحر "**وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ** عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ" (خر١٤: ٢٢). أي أن الماء كان عاليًا وواقفًا على الجانبين. مَن ذا الذي يخاطر بحياته ويمشي وسط ماء يقف مثل السور؟! من الذي يمسك هذا الماء؟! لا يوجد حاجز من زجاج ولا من بلاستيك ولا حائط مبني.. لا شيء على الإطلاق.. كان الماء واقفًا على الجانبين وهم يمشون في الوسط! لذلك **اعتبر أن مَنْ دخل في هذا المسار قد قَبِل الموت**. بمعنى أنه قد وضع في نفسه أن الموت في المياه أفضل من الموت في العبودية أو الموت بسيف فرعون ومركباته وجيوشه.

كان لابد لهذا الشعب لكي يصل إلى أرض كنعان أن يخرج ببداية قوية، لأنه إن لم تكن بداية الطريق الروحي بداية قوية، كيف نصل إلى نهاية المطاف؟

عنـد إطـلاق صـاروخ مـن الأرض إلى الفضـاء يتوقـف نجـاح الرحلة على قوة الانطلاق الأولى نحو الفضاء الخارجي لتفادي الجاذبية الأرضية. فإذا انطلق الصاروخ بقوة سوف يستطيع أن يخرج خارج نطاق الجاذبية الأرضية بنجاح ويكمل الرحلة، أما إذا كانت الانطلاقة الأولى ضعيفة فلن يستطيع أن يكمل.

الاشتياقات الأولى

عنـدما يخـرج الإنسـان مـن العـالم تكـون لديـه أشـواق روحيـة كثـيرة. يكـون مشـتاقًا لحيـاة الكمـال الـروحي، وكمـال تنفيـذ الوصية، تكون أمامه مجموعة كبيرة من الوصايا ويكون قلبه مشتاقًا لتنفيذها.

كلما يصلي الإنسان المزمور الكبير في صلاة نصف الليل يقول: "**اشـتاقت نَفْسِ إِلَى اشـتهاء أَحْكَامِكَ فِي كُلِّ حِينٍ**" (مز١١٩ (١١٨): ٢٠)...

ويجد السيد المسيح يقول مثلاً:

❖ "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي" (مت١٩: ٢١).

❖ "لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولًا لأَجْلِي وَلأَجْلِ الإِنْجِيلِ. إِلاَّ وَيَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ بُيُوتًا وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلاَدًا وَحُقُولاً مَعَ اضْطِهَادَاتٍ وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ" (مر١٠: ٢٩ ،٣٠)، أي أن الأجر ليس فقط في السماء.

❖ "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِي وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي" (مت ١٦: ٢٤).

❖ "مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي" (مت١٠: ٣٧).

❖ "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخر أَيْضًا... وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ إِثْنَيْنِ. مَنْ

سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ... أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (مت ٥: ٣٩-٤٤).

أمام كل هذه الوصايا يجد الإنسان نفسه محتاجًا لقوة داخلية يستطيع بها تنفيذ الوصية.

ويقرأ في المزمور: "طُوبَاهم الذين بلا عيب في الطَرِيق السَّالِكِونَ فِي ناموس الرَّبِّ. طُوبَاهم الذين يفحصون عن شَهَادَاتِهِ. ومِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ يَطْلُبُونَهُ. لأنِ صانعي الإثم لم يهووا أن يَسْلُكُوا في سبله. أَنْتَ أَمرت أَنْ تُحْفَظَ وَصَايَاكَ جدًا. فيا لَيْتَ طُرُقِي تستقيم إلى حِفْظِ حقوقكَ" (مز١١٩ (١١٨): ١-٥).

ويسمع قول السيد المسيح:

- "مَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ" (مت٢٣: ١٢).

- "تَعَلَّمُوا مِنِّي لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ" (مت١١: ٢٩).
- "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ... طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ... طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّه" (مت ٥: ٣، ٥، ٨).

فيشعر كأنه يقول: "لِكُلِّ تمَامٍ رَأَيْتُ منتهى، أَمَّا وَصِايَّاكَ فَوَاسِعَةٌ جِدًّا" (مز ١١٩ (١١٨): ٩٦). فيقول في نفسه متى سأنفَّذ كل هذه الوصايا؟ متى يكون اشتياقي لك أنت ولا يشغلني العالم عنك؟ متى أقتني الاتضاع الحقيقي والوداعة الحقيقية؟ متى أتحرر من محبة القنية؟ متى أجد وقتًا ليسبحك لساني في كل حين؟ متى أصل إلى حياة الصلاة الدائمة ويشتعل قلبي بمحبتك؟ متى تنشغل أفكاري بك باستمرار، وتصبح أنت الكنز الذي وجده إنسان في حقل فمضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل (انظر مت١٣: ٤٤)؟ متى تصبح حياتي كلها صلاة وتسبيح، وفكري كله

منشغلاً بالملائكة والقديسين في السماويات؟ متى أنسى كل شيء في العالم لكي أتذكرك أنت وحدك؟!

هكذا يجد الإنسان نفسه غير قادر على تحقيق كل اشتياقاته وهو يعيش وسط العالم.

هو يريد أن يجد وقتًا يجلس فيه مع الله، ويقرأ كلامه ويتأمل فيه، ويلهج في وصاياه نهارًا وليلاً.

ثم يجد المرنم يقول في المزمور "تَاقَتْ نَفْسِي إِلَى خَلاَصِكَ. وعلى كَلاَمَكَ تَوكلْتُ. كَلَّتْ عَيْنَايَ مِنَ انتظارِ أقَوالِكَ قائلتين: مَتَى تُعَزِّينِي؟...كَمْ هِي أَيَّامُ عَبْدِكَ؟" (مز ١١٩ (١١٨): ٨١، ٨٢، ٨٤)، فيقول في نفسه أين التعزيات الروحية؟ أين الهذيذ والثيؤريا؟ أين التأمل والدهش؟ أين العقل الذي لا يُفكر إلاَّ في السماويات؟ كما يقول معلمنا بولس الرسول "فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللَّه" (كو ٣:١).

الرهبنة هي طريق الكمال الروحي

يشعر الإنسان أنه عندما يخرج من العالم ويصل إلى الدير سينطلق من عبودية فرعون ويخرج إلى البرية حيث يعبد اللَّه هناك، كما قال الله لفرعون "أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي **فِي الْبَرِّيَّةِ**" (خر٧: ١٦).

يشعر أنه في الدير يستطيع أن يسير في طريق الكمال كما قال المزمور "طُوبَاهم الذين **بلا عيبٍ في الطَرِيق السَّالِكِونَ فِي ناموس الرَّبِّ**... بِمَاذا يُقوم الشَّابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ أقوالكَ" (مز ١١٩ (١١٨): ١، ٩).

إن البداية في الطريق الروحي لحياة الرهبنة تكون نتيجة **لرغبة الإنسان في الوصول إلى الكمال الروحي بنقاوة القلب، ونقاوة الفكر، ونقاوة الحواس**.. يُريد الإنسان أن تصبح أفكاره سماوية، يُريد **التحرر** من كل الشهوات الموجودة في العالم، يُريد **الانتصار** على محاربات الشياطين، يُريد أن **يقتني الاتضاع** وفقًا لقول العظيم الأنبا أنطونيوس: [الطاعة

والمسكنة يُخضِعَان الوحوش لنا]،[٧] يُريد تطبيق وصية السيد المسيح: "تَعَلَّمُوا مِنِّي لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُم" (مت١١: ٢٩)، يُريد **الانتصار على كل محاربات الشياطين، عن طريق حياة النقاوة والاتضاع والمسكنة بالروح** التي هي الطريق الآمن نحو الملكوت، لأن السيد المسيح يقول "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت٥: ٣)... يُريد **التحرر من ذاته** التي تريد التمجيد والكرامة وأن تُثْبت وجودها... يُريد أن **يعانق الصليب ويصبح تلميذًا حقيقيًا للسيد الرب** الذي قال: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِي وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَتْبَعْنِي" (لو٩: ٢٣)، "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ... حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا" (لو١٤: ٢٦). **لا يهمه ماذا يقول عنه الآخرون**؛ لأنه لو كان يريد مجد الناس لمكث في العالم، ولا تهمه نظرة الرهبان له في الدير. هو يحب

[٧] بستان الرهبان، صفحة ١٧٩.

أن **يخفي فضائله** الروحية، لأن عروس النشيد مكتوب عنها "أُخْتِي الْعَرُوسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ" (نش٤: ١٢)، **لا يهمه مدح** أحد لعمل يده أو ممارساته الروحية، لكن يُريد فعلًا **التحرُر من السُبح الباطل** والمجد الباطل ومديح الناس؛ ولذلك **يهرب من إدانة الآخرين**، لأنه يعتبر أن الكل أفضل منه، ويقول لنفسه: إني لا أستحق أن أحيا في وسط هؤلاء القديسين. وفي ذلك قال الآباء: إن الحكيم ينظر إلى فضائل غيره ليقتنيها أما الجاهل فينظر إلى نقائص غيره ليدينه عليها.

الراهب هو إنسان خرج من العالم **وانسلخ عن الكل ليرتبط بالواحد. لمْ تعد تهمه الأخبار، لأنه مات عن العالم،** فلماذا يبحث عن الأخبار والصحف؟ هو إنسان يُريد أن ينسى كُل الناس، ينسى كل شيء، ينسى العالم وما فيه.. العالم الذي خارج الدير وأيضًا العالم الذي بداخل الدير.

منهج الإنسان في حياته الرهبانية

المسكنة بالروح هي بداية الطريق بالنسبة للراهب لأن عبارة "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت٥: ٣) هي أول عبارة في الموعظة على الجبل.

لابد أن يعيش الراهب كمسكين ومثل إنسان مسكين يقول {أنا لا أفهم شيء؟ من أنا}، وكما قال الآباء [أنا ومن يحسبني أنا شيئًا]،[٨] و[لا يوجد شيء أفضل مِن أن أرْجع بالملامة على نفسي في كل أمر]،[٩] و [إن كنت تقول إنك حسنًا قلت وحسنًا فهمت، فلا حسنًا قُلت ولا حسنًا فهمت].[١٠]

والإنسان الذي يريد السير في الطريق الروحي **يفرح بالمحْقرة،** وليس بالمديح ويقول في نفسه: ذاتي هذه لابد أن تُصلب وتُذَّل لن ينفع معها إلاَّ المذّلة والمحقرة.

---

[٨] بستان الرهبان، صفحة ٣١٢.

[٩] بستان الرهبان، صفحة ٣٢٣.

[١٠] بستان الرهبان صفحة ٣٦٥.

يـدخل الراهـب إلى قلايتـه الـتي تكـون بمثابـة سُـلَّم يعقـوب والرب واقـف عليه بمجدٍ والسماء مفتوحة فيقول: "حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ! وخاف وقال مَا أَرْهَبَ هَذَا الْمَكَانَ! مَا هَذَا إِلاَّ بَيْتُ اللَّه وَهَذَا بَابُ السَّمَاءِ" (تك ٢٨ : ١٦، ١٧).

الـذات هي أخطـر مـا يـدمَّر الطريـق الـروحي، الـذات تجعـل الراهب بدلاً من أن يعيش في أمجاد الحياة الروحية ويحلَّق في سماء الروح، يعيش في **مقلاة الذات التي تحرقه**. الإنسان هو وذاته يكون الشيطان ثالثهما، بينما الإنسان الذي ذاته منسية ومتروكـة يقـول لـه السـيد المسـيح: "الَّـذِي عِنْـدَهُ وَصَـايَاي وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي والَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي... إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِي وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا" (يو ١٤: ٢١، ٢٣).

أيضًا **حياة الاحتمال وحياة الصبر** لأن "الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَنْتَفِخ وَلاَ تُقَبِّحُ وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا... **وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ** وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ" (١كو ١٣: ٤، ٥، ٧).

الفضيلة لا تبنى على حساب فضيلة أخرى

يضع المبتدئ لنفسه منهجًا روحيًا لكي **يقتني جميع الفضائل الروحية**، فلا تُبنى فضيلة على حساب فضيلة أخرى.

بعض أمثلة لذلك:

- راهب يُريد اقتناء فضيلة الصلاة الدائمة أو الصمت فلا يصح أن يبنيها على الكبرياء. فمثلاً إذا كلمه أحد إخوته الرهبان لا يشير إليه بتعالي بعدم الكلام. لأنه إن فعل ذلك يكون قد أتقن الصمت أو الصلاة الدائمة بينما فقد فضيلة الاتضاع. عن الصمت قال القديس مكاريوس الكبير: [فروا يا إخوة، فقال الإخوة: أيها الأب كيف نهرب أكثر من مجيئنا إلى البرية؟ فوضع يده على فمه وقال: من هذا فرّوا].[١١] أي

[١١] بستان الرهبان، صفحة ٢٧.

فـروا مـن اللسـان، بمعـنى اهربـوا مـن كـثرة الكلام. فالصـمت فضـيلة لكـن بشــرط ألا يكـون بعجرفـة. فـلا يليـق أن يقـول الراهب لمن يكلمه: {أسكت.. لا تتكلم} أو يشير إليه بأصبعه بأن يصمت، إنما يقول له باتضاع: {أخذنا بركة، اذكرني في صلاتك}، وينسحب بتواضع وبهدوء.

- راهب ضميره يمدحه قائلاً: إنني أطبَّق فضيلة الهروب من ضياع الوقت، ولكنه ينفذ هذا بعجرفة فتضيع الفضيلة. فمثلاً إن قابله راهب وكلمه يدير وجهه أو لا يرد عليه. هذا ضد الاتضاع والمحبة. لكن ما هو التصرف الصحيح خاصة إن قابله شخص معروف عنه أنه كثير الكلام؟ في هذه الحالة من الممكن أن يقول له مثلًا: {يا أبونا أنا أخذت بركة كبيرة أني قابلت قدسك النهاردة. ياريت تذكرني في صلاتك لأني مسكين جدًا وغلبان وحالي ملخبط، بعد إذن قدسك لإني مش عارف أصلي}. هكذا ينسحب بطريقة متضعة وليس بأسلوب متعجرف.

- راهب كبير في السن يحمل حِملاً ثقيلاً، لا يصح أن يراه راهب شاب ويقول {أنا ليس لي شأن به ولا بما يحمِله}، مثلما عبر الكاهن واللاَّوي على الرَجُل الجريح الذي أتاه السامري الصالح واهتم به وأوصله إلى فندق واهتم بعلاجه. التصرف السليم هو أن يقول: {بعد إذن قدسك، آخذ بركة مساعدة قدسك، وأنا لا أستحق} ويوصَّله إلى قلايته بالحِمْل الثقيل. أما إن قال الراهب كبير السن الذي يحمل الحمل الثقيل: {انتظر يا أخ فلان؛ أنا أريد أن أُكلمك في موضوع}، في هذه الحالة يعتذر باتضاع، كأن يقول مثلًا: {يا أبونا أنا لا أفهم شيئًا أنا مسكين جدًا، سامحني واذكرني في صلاتك}، لكن لا يقول: {اسكت.. لا تتكلم}. لأنه لا يصح أن يعتقد المبتدئ في نفسه أنه سيُعلِّم الآخرين حياة الرهبنة، لمجرد أنه قرأ قليلاً في بستان الرهبان فيعتقد أنه وصل إلى مراتب عالية.

- إذا نجح راهب في عمل كُلِّف به لا يعبِّر عن فرحته بنجاح العمل بطريقة عالمية، بل يقدِّم الشكر للمسيح الذي أعطاه نعمة إتقان العمل. على ألا يكون ذلك برياء لكن بعرفان حقيقي من عمق القلب أن العمل خرج متقن بنعمة الله ولمجده. ولا تخرج من فمه كلمة خالية من اسم الله، لكي تتقدس كل الكلمات.
- إذا عمل الراهب أي عمل لا يهمه أن يعرف الآخرون أنه هو الذي قام بهذا العمل، بل يمكن أن ينسبه إلى إخوته، لأنه مات عن هذه الأمور. طالما الأمور تجري بنجاح يقف هو بعيدًا لينظر ويقول كما قال يوحنا المعمدان "أما صديق العريس فَيَفْرَحُ فَرَحًا مِنْ أَجْلِ صَوْتِ الْعَرِيسِ. إِذًا فَرَحِي هَذَا قَدْ كَمَلَ. يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ" (يو٣: ٢٩، ٣٠). يفرح أنه قد تم إنجاز العمل ويعطي المجد كله لله ثم لإخوته، هذا هو طريق الكمال الروحي.

هنا وأحب أن أقول إن الراهب الذي يفرح بأن الآخرون علموا أنه هو الذي قام بالعمل يكون قد خرج من طقس الموت عن العالم. الوضع السليم أن يفرح لأنه أفرحهم، ويفرح إن الله تمجد بهذا العمل. أما إن كنت تفرح بالظهور بطريق مباشر أو غير مباشر، هنا لابد من وقفة ولابد أن تحارب نوازع الذات التي لم تمت بعد داخلك.

هكذا فإن الفضيلة لا تُبْنَى على حساب فضيلة أخرى.

يسوع المسيح هو الأساس

بداية الطريق الروحي والرهباني لابد أن تكون على أساس سليم. لقد تكلَّم معلمنا بولس الرسول عن أن السيد المسيح هو الأساس في البناء الروحي، فقال "فَمَنْ هُوَ بُولُسُ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ؟ بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوَاسِطَتِهِمَا وَكَمَا أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ: أَنَا غَرَسْتُ وَأَبُلُّوسُ سَقَى لَكِنَّ اللَّه كَانَ يُنْمِي. إِذًا لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلاَ السَّاقِي بَلِ اللَّه الذي يُنْمِي. وَالْغَارِسُ وَالسَّاقِي هُمَا وَاحِدٌ وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أُجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعَبِهِ. فَإِنَّنَا

نَحْنُ عَامِلاَنِ مَعَ اللَّه وَأَنْتُمْ فَلاَحَةُ اللَّه بِنَاءُ اللَّه. حَسَبَ نِعْمَةِ اللَّه الْمُعْطَاةِ لِي كَبَنَّاءٍ حَكِيمٍ قَدْ وَضَعْتُ أَسَاسًا وَآخَرُ يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلَكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ. **فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ** وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدُ يَبْنِي عَلَى هَذَا الأَسَاسِ ذَهَبًا فِضَّةً حِجَارَةً كَرِيمَةً خَشَبًا عُشْبًا قَشًّا. فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِرًا لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ" (١كو٣: ٥-١٣).

السيد المسيح هو الأساس، إنه هو الصخرة كما قال معلمنا بولس الرسول "كَانُوا يَشْرِبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ. **والصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ**" (١كو١٠: ٤). لذلك ورد في سفر إشعياء النبي "هَلْ يُوجَدُ إِلَهٌ غَيْرِي؟ وَلاَ صَخْرَةَ لاَ أَعْلَمُ بِهَا" (إش٤٤: ٨)، ويقول المزمور "الرَّبُّ صَخْرَتِي" (مز١٨: ٢). وعن صخرة الإيمان بالمسيح قال: "وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي" (مت١٦: ١٨).

إذن لابد أن يكون **الأساس الروحي هو السيد المسيح أساس حياتنا الروحية.**

ضرورة الصمود في بداية الطريق

بداية الطريق الروحي ينبغي أن تكون بداية **بكل** قوة كما قلنا..

ومع الانطلاقة الأولى إلى طريق الرهبنة بقوة وفرح يلاحظ المبتدئ ملاحقة العدو له مثلما لاحق فرعون شعب إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر، إذ جمع كل جيشه في الحال وخرج وراء شعب إسرائيل. نفس الشيء يحدث لمن يترك العالم ويذهب في طريق الرهبنة، إذ به يجد فرعون العقلي يلاحقه بمحاربات كثيرة: من محاولات لإعادته إلى العالم عن طريق الأفكار، أو عن طريق ضغوط الأهل، أو أوجاع في الجسد إلخ.. ويختار العدو الأوقات بمكر ويضغط على الإنسان بقوة، لكن كما قال معلمنا بولس الرسول في رسالته الثانية لأهل كورنثوس "أَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ" (٢كو٢: ١١). نحن نعرف حيل الشيطان ونفهمها.

تتميز الفترة الاولى في طريق الرهبنة ببندين:

البند الاول: مشاعر واندفاعة قوية في الحياة الروحية لابد أن يستفيد منها الإنسان حتى تستمر قوة الدفعة الأولى معه في كل فترة رهبنته.

البند الثاني: تكاثر حروب العدو لتثنيه عن الاستمرار في طريق الرهبنة. كأن يقول له الشيطان: أنت لن تنفع في هذا الطريق، أو لن تقدر على هذا الطريق، أو هذا ليس طريقك، أو لن يوافقوا عليك في الدير، أو يحاربه بالأهل.

أحيانًا يشكك الشيطان المبتدئ بعد زيارة أُسرته له (قائلاً ما ذنبهم، والدك سيموت ووالدتك ستصاب بالشلل أو غيره إلخ.)، ويُتعِب ضميره من جهتهم. لكن هذه كلها حروب معروفة، لابد أن يواجهها الإنسان في بداية خروجه من العالم. وفي ذلك قال السيد المسيح "**لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ**" (لو٩: ٦٢).

ويقول الكتاب المقدس "اُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ" (لو١٧: ٣٢) التي نظرتْ إلى خلف فتحولت إلى عمود مِلْح.

إذا حارب الشيطان المبتدئ بالأم أو الأب يرد على الفكر الشيطاني بقوله المفروض أن يفرحوا أني صرت عروسًا للمسيح. هل يبخلوا على ربنا بإبنتهم أو ابنهم؟ هل الابن أو الابنة تغلى على المسيح؟ وأيضًا يذّكر نفسه بقول السيد المسيح "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً لأَجْلِي وَلأَجْلِ الإِنْجِيلِ. إِلاَّ وَيَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ بُيُوتًا وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلاَدًا وَحُقُولاً مَعَ اضْطِهَادَاتٍ وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ" (مر١٠: ٢٩،٣٠).

لقد ترك السيد المسيح السيدة العذراء مريم وهو في سن الثلاثين وكَّرس نفسه للخدمة. وبعدما اعتمد خرج إلى الجبل أربعين يومًا وأربعين ليلة وهي لا تعلم أين هو. وفوق ذلك إنه صُلب أمام عينيها، لكنها قالت "أما العالم فيفرح لقبوله

الخلاص أما أحشائي فتلتهب عند نظري إلى صلبوتك الذي أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابني وإلهي". وهذا آل إلى خلاصها شخصيًا.

يقول المرتل "اجْعَلْ أَنْتَ دُمُوعِي فِي زِقِّكَ" (مز٥٦: ٨). ويقول المزمور "عَزِيزٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَوْتُ أَتْقِيَائِهِ" (مز١١٦: ١٥). إن التضحيات التي نقدمها لا تضيع هباء. الله قادر أن يعمل بها في حياة أسرنا من أجل خلاصهم هم شخصيًا. والله لا ينسى أي تقدمة "لِيَذْكُرْ كُلَّ تَقْدِمَاتِكَ وَيَسْتَسْمِنْ مُحْرَقَاتِكَ" (مز٢٠: ٣)، "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي فَلْيَتْبَعْنِي وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ (عند الجلجثة) أَيْضًا يَكُونُ خَادِمِي" (يو١٢: ٢٦).

لذلك، تتضح البداية القوية مثلاً إن زارت أسرة طالب الرهبنة الدير وقابلوه وألحوا عليه بالعودة فيستطيع أن يصمد لأنه أتى باشتياقات حارَّة شاعرًا أن **الدير هو ميناء الخلاص** بالنسبة له، فتكون لديه قدرة شديدة جدًا على المقاومة. أما إذا

استجاب لمطالبهم فإن هذا يدل على فشله في بداية الطريق الروحي، وفي امتحان القدرة على الاستمرار في حياة الرهبنة.
والحقيقة أنه مع تقادم الزمن ومرور الأيام يعوِّض الله الأهل كثيرًا عن تركهم لابنهم أو ابنتهم الذين سلكوا في طريق الرهبنة.

الالتزام بحياة الغربة والموت عن العالم

من الأفضل أن يموت الإنسان عن العالم بدلاً من أن يموت في العالم، ويقول: "حَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ **صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ**" (غل ٦:١٤).

إن عبارة "صُلب العالم لي" تعني أن العالم بالنسبة لي يُعتبر قد سُمِّرَ ولم يعد له أي تأثير. وعبارة "وأنا له (صُلبتُ للعالم)" تعني أن "الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ **صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ**" (غل٥: ٢٤). أنا مُستعد أن أحتمل الصليب، وأحتمل أشواك الطريق، والجهاد، لأن معلمنا بولس الرسول

يقول "لَمْ **تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ** مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ" (عب١٢: ٤). إن الجهاد حتى الدم هو الذي يجعل الإنسان يقول: "أنا صلبتُ للعالم" ومستعد لاحتمال أي آلام أو مشقات أو متاعب من أجل الثبات في الطريق الروحي، لأن العالم ليس له في شيء، أنا صلبتُ ومت بالنسبة له. يقول معلمنا بولس الرسول **"احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ"** (رو٦: ١١). أي أن الإنسان **"الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ"** (رو ٦: ٧) كما نقول في العامية (متبري منه).

المشكلة هي في دخول العالم إلى داخل الدير، هذه هي الكارثة الكُبرى. إنسان مات عن العالم، ثم يصير نشرة أخبار داخلية في الدير! لا يكفيه أنه يسعى لمعرفة الأخبار، بل وينشرها أيضًا ويكون كمحطة إذاعة؟!! لقد توقفنا عن متابعة نشرة الأخبار العالمية، فلا يصح أن نقيم محطة إذاعة داخل الدير تكون بمثابة نشرة أخبار محلية. هذا ضد مبادئ الرهبنة وضد حياة الغربة والموت عن العالم.

يقـول القـديس برصـنوفيوس: [غربـاء نحـن، فلـنكن غربـاء بالكمال]،[١٢] الراهب الحقيقي يقول: {أنا مالي خليني في حالي، اللَّه يعين الجميع}.

تذكر الهدف والعهود طوال الطريق

من المهم في الطريق الروحي أن يتذكر الإنسان **الهدف** الذي خرج مِن أجْلهِ ويتذكر **الوعود** التي بينه وبين ربنا، ويقول له: **"تعهدات فمي باركها يا رب"** (مز ١١٩ (١١٨): ١٠٨).

وا أسفاه على من خرجوا مِن العالم وكسروا قلوب آبائهم وأمهاتهم؛ ولم يصنعوا ثمرة في طريق الرهبنة!

يجب أن يتذكر الإنسان في كل حين لماذا خرج من العالم. لابد أن **يكون الهدف واضحًا** أمام عينيه باستمرار. إن الهدف هو عِشرة ربنا ومحبته وتسبيحه، والسلوك في طريق الكمال الروحي، وتنفيذ الوصية.

[١٢] بستان الرهبان، صفحة ١٦٠.

في تنفيذ الوصية يحتاج الراهب أن يعيش في عِشرة مع الله ويتذوق حلاوة الوجود في حضرته. هذا يجعله يتحرر مِن الشهوات العالمية، وتصبح شهوة قلبه دائمًا هي السيد المسيح وحده. لابد أن يتذكر الهدف الذي ترك العالم مِن أجله. ولا يكون الهدف هو لِبس السواد، كما سأل الشيخ الروحاني: حتى متى تعزي نفسك بلبس السواد يا أخي؟

لابد أن يتذكر الراهب باستمرار التعهدات التي بينه وبين الله. التعهدات الرسمية في الرهبنة: **الطاعة والبتولية والفقر الاختياري**، وأيضًا التعهدات الروحية في علاقته الخاصة مع الله مثل إرضاء اللَّه بكل قلبه، وأن يحب الناس جميعًا، وينفَّذ الوصايا، ويصل إلى نقاوة القلب.

المحبة هي المقياس للطريق

يقول معلمنا يوحنا الرسول: "وَأَمَّا مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِي الظُّلْمَةِ، وَفِي الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ، وَلاَ يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي، لأَنَّ الظُّلْمَةَ أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ" (١يو ٢: ١١). ويقول "**بِهَذَا أَوْلاَدُ اللَّه ظَاهِرُونَ**

وَأَوْلاَدُ إِبْلِيسَ. كُلُّ مَنْ لاَ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَلَيْسَ مِنَ اللَّه، وَكَذَا مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ. لأَنَّ هَذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدْءِ: أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا... نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ لأَنَّنَا نُحِبُّ الإِخْوَةَ. مَنْ لاَ يُحِبَّ أَخَاهُ يَبْقَ فِي الْمَوْتِ. **كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ،** وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ" (١يو٣: ١٠، ١١، ١٤، ١٥).

لا يُعزِّي الإنسان نفسه بالرهبنة ولا بأي شيء، فهناك مقياس وضعه القديس يوحنا الحبيب في رسالته أن: "كُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ" (١يو٤: ٧) "نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ، لأَنَّنَا **نُحِبُّ الإِخْوَةَ.** مَنْ لاَ يُحِبَّ أَخَاهُ يَبْقَ فِي الْمَوْتِ" (١يو٣: ١٤). فإن لم نكن من أولاد الله فسوف نُحسَب من أولاد إبليس، والمقياس هو محبة الإخوة. يقول معلمنا يوحنا الرسول "إِنْ قَالَ أَحَدٌ: إِنِّي أُحِبُّ اللَّه

وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ" (١يو٤: ٢٠).

خطورة تفصيل الوصية

مع تراكم الأيام ومرور السنين قد يحدث أن يُكوِّن الإنسان لنفسه كيانًا خاصًا به وقلعةً حصينةً، وأسوارًا يَصعُب اختراقها، وقد يشَكِّل لنفسه منهجًا روحيًا ومقاييسًا روحيةً؛ فيُفَصِّل الوصايا بدلاً مِن السعي في طلبها، أي يتوقف عن السعي لفهم الوصية، لأنه يُطَوِّع الوصية لخدمة مفاهيمه ومقاصده وشهوات قلبه الخاصة (يعمل لنفسه وصية تفصيل). ويريد أن تحاك الوصية على هواه وليس بحسب مقاصد الله وهذا أمر خطير يجب التحذير منه.

مدرسة المزامير

نورد بعض مقتطفات مِن المزمور الكبير تتوافق مع الخط الفكري لموضوعنا:

🙏 "أَنْتَ أَمرتَ أَنْ تُحْفَظَ وَصَايَاكَ جدًا. فيا لَيْتَ طُرُقِي تستقيم إلى حِفْظِ حقوقكَ. حِينَئِذٍ لاَ أَخْزَى إِذَا ما اطلعتُ إِلَى جميع وَصَايَاكَ" (٤-٦). فماذا يكون موقف من لا يحفظ الوصية؟!!

🙏 "أَشكرُكَ يا رب بِاسْتِقَامَةِ قَلْبي، إذ عرفت أَحْكَامَ عَدْلِكَ. وحقوقكَ أَحْفَظُ" (٧، ٨). أثناء صلاتكم هذا المزمور في نصف الليل اطلبوا أن يعطيكم الرب فهمًا لتنفيذ الوصية.

🙏 "مِن كُلِّ قَلْبِي طَلَبْتُكَ. فلاَ تُبعدنِي عَنْ وَصَايَاكَ" (١٠) ربما أكون صنعتُ لنفسي "وصايا تفصيل" دون أن أدري!

🙏 "أَخفيتُ أقوالكَ فِي قَلْبِي لِكَيْلاَ أُخْطِئَ إِلَيْكَ، مبارك أَنْتَ يَا رَبُّ عَلِّمْنِي حقوقكَ. بشفتي أظهرتُ كل أحكام فمك، وفَرِحْتُ بِطَرِيقِ شَهَادَاتِكَ... وأتفهم في طرقكَ.... ولاَ أَنْسَى كَلاَمَكَ" (١١-١٦).

🙏 "كافئ عَبْدِكَ فَأَحْيَا وَأَحْفَظَ أَقوالَكَ" (١٧). والمكافأة التي أُريدها هي أن أعيش في الحياة الروحية، بأن أحفظ أقوالك.

🙏"اكْشِفْ عَنْ عَيْنَيَّ فَأَتأمل عَجَائِبَ مِن ناموسكَ. غَرِيبٌ أَنَا فِي الأَرْضِ. فلاَ تُخْفِ عَنِّي وَصَايَاكَ" (١٨، ١٩). إنها مشكلة كبيرة جدًا أن يعيش إنسان هنا على الأرض تائهًا. إن مشكلة الغريب تكون في أنه يتوه لأنه لا يعرف الطريق.

مثال توضيحي: إن سافر شخص إلى بلد لا يعرفها فإنه سوف يتوه وربما يدور لساعات حتى يصل إلى المكان الذي يريده لأنه لا يعرف الطريق.

ولذلك يقول المصلي أنه غريب –تائه- ويطلب من الله قائلاً "فلا تُخفِ عني وصاياك".

إننا أحيانًا نجد البعض يظنون في أنفسهم أنهم يعرفون كل المعرفة، لمثل هؤلاء نقول راجعوا أنفسكم قليلاً فربما يكون فهمكم للوصية خاطئًا. كثيرًا ما سمعنا عن أُناس ضلوا في الطريق الروحي لهذا السبب.

🙏 "اشتاقَتْ نفْسِي إِلَى اشتهاء أَحْكَامِكَ فِي كُلِّ حِينٍ. انْتَهَرْتَ الْمُتَكَبِّرِينَ، **مَلاَعِينَ، الذين حادوا عَنْ وَصَايَاكَ**" (٢٠، ٢١). هذه مصيبة؛ فقد دخلوا في اللعنة.

🙏 "انزِع عَنّي الْعَارَ وَالخزي فإِنِّي لشَهَادَاتِكَ ابتغيتُ... لأن شَهَادَاتُكَ هِي درسي وحقوقك هي مَشُورَاتِي" (٢٢،٢٤). يقصد أن يقول: انقذني يا رب لئلا أدخل في اللعنة إذا لم أنفَّذ وصيتك.

🙏 "عَلِّمْنِي حقوقكَ. وطَرِيقَ عدلكَ، فَهِّمْنِي فَأُتلو في عَجَائِبِكَ. ذبلتْ نفْسِي مِنَ الْحُزْنِ. فثبتني في أقوالكَ. طَرِيقَ الْظلم أَبْعِدْ عَنِّي" (٢٦- ٢٩) لأنني من الممكن أن أكون سائرًا بطريقة خاطئة.

🙏 "وَبِناموسكَ ارْحَمْنِي. إني اخْتَرْتُ طَرِيقَ الْحَقِّ. وأَحْكَامَكَ لم أنسَ. لَصِقْتُ بِشَهَادَاتِكَ. يَا رَبُّ فلاَ تُخْزِنِي. فِي طَرِيقِ وَصَايَاكَ سعيتُ عندما **وسعتَ قَلْبِي**" (٢٩-٣٢). ليتك توسَّع قلبي حتى أسير في طريق وصيتك.

🙏 "**ضع لي يَا رَبُّ ناموسًا** فِي طَرِيقَ حقوقكَ، فَأَتبعه كل حينٍ" (٣٣). أنا أُريدك أن تضع لي قوانين روحية أسير عليها؛ أنا من الممكن أن أكون بلا منهج واضح.

🙏 "فهمني فأبحث عن ناموسك وَأَحْفَظَهَ بِكُلِّ قَلْبِي اهدني فِي سَبِيلِ وَصَايَاكَ فإنِّي إياها هويتُ" (٣٤-٣٥). آه، لقد تذكرتُ أنني قد خرجتُ مِن العالم؛ لكي أكمل الوصية.

الكنيسة وضعتْ لنا هذا المزمور لكي نصليه كل يوم في صلاة نصف الليل؛ لكي يفيق كل منا ويتذكر أنه خرج من العالم ساعيًا نحو الكمال في تنفيذ الوصية، وليس الوصية كما يُخططها هو، أو يُفصِّلها ويُبرمجها لنفسه، ولكن الوصية كما يريده اللَّه أن يحياها.

المحبة تقود إلى التمييز والإفراز

يقول معلمنا بولس الرسول: "وَهَذَا أُصَلِّيهِ: أَنْ **تَزْدَادَ مَحَبَّتُكُمْ أَيْضًا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَفِي كُلِّ فَهْمٍ، حَتَّى تُمَيِّزُوا** الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، لِكَي تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلاَ عَثْرَةٍ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ،

مَمْلُوئِينَ مِنْ ثَمَرِ الْبِرِّ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِمَجْدِ اللَّه وَحَمْدِهِ" (في ١: ٩-١١). شيء عجيب جدًا، أن من تزيد محبتهم لله يعرفون أن يميزوا الأمور المتخالفة! فما علاقة زيادة الحب بموهبة الإفراز والتمييز؟

في الطريق الروحي نحن ننمو في محبة اللَّه، وكلما تزداد محبتنا لله كلما تزداد معرفتنا به. لأن السيد المسيح قال: "الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَاي وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي والَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي **وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي**" (يو١٤: ٢١). **فكلما زادت محبتنا له كلما استطعنا تنفيذ الوصية، وكلما استطعنا تنفيذ الوصية يُظهر لنا ذاته أكثر. وعندما يُظهر لنا ذاته سنزداد في معرفته، فهو الحكمة** (هذا لقبه) المولود من الآب الحكيم.. فكلما نزداد في معرفة السيد المسيح نزداد في معرفة الحكمة، وفي موهبة التمييز والإفراز.

ولابد مِن وجود نمو في الطريق الروحي. فعندما نقول "تعهداتِ فَمِي باركها يَا رَبُّ وَأَحْكَامَكَ عَلِّمْنِي. نَفْسي فِي يديك

كل حين وناموسكَ لَمْ أَنْسَ" (مز ١١٩(١١٨): ١٠٨، ١٠٩)، كأن كل منا يقول: أنا أتوق أن تشكلني يديك حسبما تُريد أنت وليس حسبما أريد أنا.

كيف نحافظ على الغيرة الروحية والبداية القوية؟

بداية الطريق الروحي هي بداية طريق الكمال، لكن ما هي الفائدة أن تكون البداية قوية ولا تستمر بل تضعف مع مرور الأيام؟!

كيف نجعل البداية القوية تستمر بنفس المستوى؟

من المعروف أن أغلب الذين خرجوا للرهبنة في البداية كانت لهم غيرة قوية، قال عنها الرب "قَدْ ذَكَرْتُ لَكِ **غَيْرَةَ صِبَاكِ مَحَبَّةَ خِطْبَتِكِ** ذِهَابَكِ وَرَائِي فِي الْبَرِّيَّةِ فِي أَرْضٍ غَيْرِ مَزْرُوعَةٍ" (أر ٢: ٢) كما قلنا.

فكيف نحافظ على الغيرة والحرارة الروحية والبداية القوية؟

- **نحافظ عليها بمعرفة قيمة صلاة المزامير**

إن **صلاة المزامير** هي قانون الراهب، فلابد أن يجعلها الراهب تصبح **هي درب السماء،** ويجعلها **هي سُلَّم يعقوب، والوسيلة** التي تزداد بها حياته في القوة والنمو باستمرار.

للأسف أحيانًا نجد مَن يعتبر أن قانون المزامير هو ثِقَل عليه حتى أن البعض يطلبون حِلاً عما سبق ولم يتمموه. مع إن القوانين الروحية ليست ثِقلًا إنما هي فيتامينات الحياة الروحية، هي ينابيع الماء الحي التي يرتوي منها الراهب، وهي سر قوة الحياة في الطريق.

من ناحية أخرى هناك مَن يحفظ المزامير عن ظهر قلب ولكن يرددها دون فهم، ويفرح جدًا لأنه انتهى مِن قانونه، دون أن يكون ذلك بمسكنة وتوسل أمام اللَّه.

إن صلاة المزامير هي مفاتيح السماء ومفاتيح حضور الله لأنها صلوات موحى بها من اللَّه. وقد أعطانا الله نفسه هذه

المزامير لنصلي بها إليه. هي الصلوات التي عندما تُقال بفهم وعاطفة وحب تجعل الله يسكبُ نعمته فينا بغزارة.

نصيحتي للرهبان والراهبات ألا يعتبروا قوانينهم من المزامير ثِقَلاً بل وسيلة لاستمرار غيرتهم المقدسة، وبها يزدادون أكثر فأكثر في المحبة والمعرفة والفهم حتى يميزوا الأمور المتخالفة (انظر في ١: ١٠).

أقترح على الرهبان والراهبات أن يكتبوا المزمور الكبير على لوحات؛ كل قطعة في لوحة ويعلقوها على جدران القلاية. جربوا هذا الاقتراح وسوف ترون النتيجة. عندما تنظر إلى هذه الجهة من القلاية تجد "مِن كُلِّ قَلْبِي طَلَبْتُكَ. فلاَ تُبعدنِي عَنْ وَصَايَاكَ" (١٠)، وعندما تنظر إلى الجهة الأخرى تجد "سَمر خوفك في لَحْمِي فلا أخطئ إليك" (١٢٠)، وإلى الجهة الثالثة تجد "لِكُلِّ تمَام رَأَيْتُ منتهى، أَمَّا وَصِايَّاكَ فَوَاسِعَةٌ جِدًّا" (٩٦).

قداسة البابا شنوده الثالث –نيح الله نفسه ونفعنا بصلواته- كان دائمًا يقول: [احفظوا المزامير تحفظكم المزامير]. مهم جدًا أن نقول المزامير بعاطفة وفهم.

- **نحافظ عليها بالتسبيح**

يجب أن نتأنى في صلاة تسبحة نصف الليل ونصليها بفهم ومشاعر لأن **التسبيح ليس واجب نؤديه بل هو غذاء روحي نتمتع به**. يجب أن نشعر بحلاوة التسبيح ودائمًا نغني للرب أغنية جديدة.

يقول معلمنا بولس الرسول "وَلْيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ، وَكُونُوا شَاكِرِينَ. لِتَسْكُنْ فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بِغِنىً، وَأَنْتُمْ بِكُلِّ حِكْمَةٍ مُعَلِّمُونَ **وَمُنْذِرُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَ رُوحِيَّةٍ، بِنِعْمَةٍ، مُتَرَنِّمِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ.** وَكُلُّ مَا عَمِلْتُمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللَّهَ وَالآبَ بِهِ" (كو ٣: ١٥-١٧).

إن كان هذا ما يقال لعامة المؤمنين فكم بالأولى بالنسبة للرهبان الذين تفرغوا لحياة الصلاة والتسبيح!!

- **نحافظ عليها بالطاعة وقطع الهوى**

فيما نتكلم عن بداية الطريق الروحي وكيف يستطيع الإنسان أن يحتفظ بقوة الدَفعة الأولى لكي تستمر حتى النهاية، نقول إن قطع الهوى أو المشيئة هو مِن أهم المبادئ في الطريق الروحي في الرهبنة من بدايته حتى نهايته. وكما قلنا فقد قدَّم لنا السيد المسيح مثالاً رائعًا في الطاعة حتى يرسم لنا طريق الخلاص (انظر عب ٥: ٨).

لذلك مِن ضمن الأمور الهامة في الطريق الروحي الاحتياج للإرشاد الروحي، لأن [الذين ليس لهم مدبر يسقطون مثل الورق من الشجر].[١٣]

إن الطريق الروحي يحتاج إلى إرشاد؛ لأنه "تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ الْمَوْتِ" (أم١٤: ١٢). ويقول

[١٣] بستان الرهبان ص ٤٠٥.

معلمنا بولس "أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا، لِكَي يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لاَ آنِّينَ، لأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ" (عب١٣: ١٧).

يحتاج الإنسان في حياة الرهبنة إلى إرشاد مِن شخصية روحية مُختبِرة إلى جوار وجود أب للاعتراف. والإرشاد الروحي يُضيف إلى خِبرة الإنسان في طريقه الروحي، أي أن **مَن يسلك بإرشاد يضيف إلى عمره الروحي أعمارًا أخرى.**

كثيرًا ما تذكر العبارة التالية في بستان الرهبان "سأل أخ شيخًا....". كما يذكر البستان النعمة الكبيرة التي ترافق تلميذ ساكن في طاعة معلمه. وفي طقس رسامة الرهبان يُقال له في الوصية: "أطع مرشدك في طريق اللَّه إلى حد الموت". ويقول الآباء: [لستُ أعرف للراهب وقعة (سقطة) إلا إذا صنع هواه، فإذا نظرتَ راهبًا قد وقع (سقط) فاعلم أنه بهواه، لأنه فعل برأي نفسه].[١٤]

[١٤] بستان الرهبان، صفحة ٣١٨.

ويقول معلمنا بولس الرسول "ثُمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَعْرِفُوا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ بَيْنَكُمْ وَيُدَبِّرُونَكُمْ فِي الرَّبِّ وَيُنْذِرُونَكُمْ" (١تس٥: ١٢)؛ لذلك فإن اختيار المرشد يحتاج إلى حكمة، لذلك قيل [اختبر مرشدك أولاً بحكمة وتجربة لئلا تقع عند مريض بدل الطبيب].[١٥] فقبلما يختار إنسان مرشده الروحي لابد أن يشعر أنه فعلاً طبيب روحاني وليس مريض يُسْقِم حياته الروحية.

[١٥] بستان الرهبان، صفحة ١٨٢.

الباب الثالث

حياة الغربة

- دعوة إبراهيم أب الآباء
- اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ
- وَمِنْ عَشِيرَتِكَ
- وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ
- غريبًا في أرض الموعد
- حياة الغربة في الرهبنة
- هل الرهبنة صعبة؟
- الرهبنة هي موت عن الذات

الباب الثالث

حياة الغربة

دعوة إبراهيم أب الآباء

"وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: **اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ** إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ وَكُلَّ مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ" (تك١٢: ١-٥).

لقد أخرج الله إبراهيم من وسط عائلته ومن وسط عشيرته، أخرجه من أرضه، من وطنه، من ممتلكاته. وخرج إبراهيم تاركاً كل شيء.

اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ

هذه العبارة تعني أن أب الآباء إبراهيم ترك ممتلكاته وعمله ورحل. إن كان يمتلك أرضًا فقد رحل دون أن ينتظر محصول زراعته أو دون أن يبيع أرضه، ورحل إلى المكان الذي قال له الله عنه. وعن هذه النقطة بالتحديد قال معلمنا بولس الرسول "وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ" (عب١١: ١٣).

وعندما ذهب إلى الأرض التي قال له الله عنها وبدأ يستقر، اختلف رعاته مع رعاة لوط ابن أخيه، فقال إبراهيم للوط "لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ رُعَاتِي وَرُعَاتِكَ، لأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَان" (تك ١٣: ٨)، وطلب إليه أن يختار الأرض التي يريدها فاختار لوط الأرض المعشبة وترك لإبراهيم الصحراء (انظر

تك ١٣: ١٠-١٢) أي البرية. لذلك نعتبر أن إبراهيم خرج إلى حياة تشبه حياة الرهبنة (لكن ليس بالمعنى الكامل للرهبنة).

إن إبراهيم هو أبو الإيمان، لذلك فإن رحلته أو مسيرة حياته، فيها لمحات تفيد أي إنسان يريد أن يعيش في طريق الله.

وَمِنْ عَشِيرَتِكَ

العشيرة تتضمن اللغة، والحضارة، والثقافة، والمجتمع إلخ. أي أنه سوف يذهب إلى بلاد لغة الشعوب فيها تختلف عن لغته، وكذلك حضارتهم وثقافتهم وتاريخهم وعاداتهم. ترك المجتمع الذي تعوَّد عليه، والمجتمع الذي يتكلم فيه بطلاقة، والمجتمع الذي به الصداقات والعلاقات والإحساس بالحياة الاجتماعية.

وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ

هذا تخصيص أكثر. فالراهب يترك وظيفته والمجتمع الذي يعيش فيه وربما خدمته في مدارس أحد أو أي خدمات كنسية أخرى، لكنه أيضًا يترك أسرته وكل من تربطه بهم علاقة

عاطفة بحكم رابطة الدم، بالإضافة إلى الصداقات العادية والمحبة الاجتماعية.

عندما يدخل الإنسان إلى حياة الرهبنة عليه أن يعرف أنه لابد أن يمشي في خطوات أب الآباء إبراهيم. إن الدعوة الرهبانية هي دعوة لترك الأرض والأهل من أجل حياة مختلفة تمامًا.

لا ينقل حياته الأولى معه إلى الدير، لأنه لو كان الله يوافق على أن ينقل إبراهيم معه أي شيء لما قال له "اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ" أي اترك كل شيء وكل أحد.

لذلك لابد أن تكون علاقة الإنسان الذي خرج من العالم بأهله علاقة فيها حرص شديد.

مثال: بعض الأسر يحضرون لابنهم الذي خرج للرهبنة نوع معين من الطعام يعرفون أنه يحبه. إنهم بذلك ينقلون حياة المنزل أو الحياة الاجتماعية والعائلية إلى قلاية الراهب في الدير. وهذا ليس من اللائق. وأحيانًا يحضرون له ملابس ناسين أن الحياة في الدير لها مسلك خاص ومنهج يختلف عن

حياة العالم وأسلوب من يعيش في العالم. وأحيانًا أخرى يصممون أن يخبروا الراهب المسكين بكل ما يحدث لهم من مشكلات ليس فقط بغرض الصلاة لأجلهم إنما لإشراكه فيما يخصهم. وبذلك يمثِّل الأهل مشكلة خارجية بالنسبة للراهب لكن المشكلة الحقيقية تكمن في الداخل أي داخل قلب الراهب إذا تأثر بهم. أما إذا اعتذر عما يحضروه من مأكل أو ملبس وطالبهم مثلاً بتسليمه للدير فلا تكون هناك مشكلة.

إن الأديرة تسمح بزيارة أسر الرهبان والراهبات من أجل أن يطمئنوا على أبنائهم وليس العكس لأن الراهب الحقيقي مات عن العالم وعن أسرته.

كما أن الراهب الشاطر هو الذي يسرع بأحاديث روحية وكنسية قبل أن تبلغه أسرته بأخبارهم. ومن الممكن أن يجهز كتاب روحي صدر حديثًا أو قرص مدمج يحوي ألحانًا أو ترانيم، ويظل ينقلهم من موضوع إلى آخر فلا يجدون وقتًا لذكر أخبارهم أو الأمور التي يحبون الحديث عنها. بهذه

الطريقة يستفيدون من الزيارة وأيضًا يطمئنون على الشخص الذي تركهم وذهب في طريق الرهبنة.

من المعروف أن الراهب المستجد يحارب بالأهل في بداية دخوله إلى الدير، أو تكون هذه الحرب ضمن المحاربات الروحية التي يحارب بها، فيقلق عليهم، أو يفكر في أمورهم.

في مديح القديس الأنبا أنطونيوس لمثلث الرحمات البابا شنودة الثالث يقول:

بأختك ذَّكروك لكي ما يقلقوك بهذا ويرجعوك

أنها محاربات معروفة منذ القدم.

عندما تأتي هذه المحاربات لابد أن يكشف الراهب فكره لأب الاعتراف أو لمرشده الروحي الذي بدوره يطمئنه ويهدئ أفكاره حتى تنتهي هذه الحرب.

غريبًا في أرض الموعد

نعود إلى أب الآباء إبراهيم الذي أمره الله أن يذهب من أرضه وعشيرته وبيت أبيه، ووعد أن يعطيه أرض كنعان، فقد كشف

معلمنا بولس الرسول في رسالته للعبرانيين أمرًا هامًا جدًا حينما قال "**بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ** أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا، فَخَرَجَ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي. بِالإِيمَانِ **تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ**، سَاكِنًا فِي خِيَامٍ مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ الْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهَذَا الْمَوْعِدِ عَيْنِهِ. لأَنَّهُ **كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ**" (عب ١١: ٨-١٠).

بهذا نكتشف أن إبراهيم تغرَّب في أرض الموعد. وأنه **حتى في أرض الموعد لم يكن ينظر إلى الأرض بل كان نظره متجهًا نحو أورشليم السماوية**. لقد تغرَّب في أرض الموعد كأنها غريبة، فكان ساكنًا في خيام لأنه "كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ".

وفي نفس الإصحاح يقول معلمنا بولس الرسول "فِي الإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ **مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى**

الأَرْض فَإِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذَا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ وَطَنًا فَلَوْ ذَكَرُوا ذَلِكَ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، لَكَانَ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلرُّجُوعِ. وَلَكِنِ الآنَ **يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيًّا**. لِذَلِكَ لاَ يَسْتَحِي بِهِمِ اللهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهَهُمْ، لأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً" (عب١١: ١٣-١٦).

كان هدف أبينا إبراهيم هو السماء، "كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ"، التي "مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا" لأنهم "يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيًّا". هذا يعني أن إبراهيم رأى المساكن العلوية.

وقد ألمح القديس إسطفانوس على قصة شعب الله في القديم فقال "**ظَهَرَ إِلَهُ الْمَجْدِ لأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ** وَهُوَ فِي مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ قَبْلَمَا سَكَنَ فِي حَارَانَ. وَقَالَ لَهُ: اخْرُجْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَهَلُمَّ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَخَرَجَ حِينَئِذٍ مِنْ أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَسَكَنَ فِي حَارَانَ. وَمِنْ هُنَاكَ نَقَلَهُ بَعْدَ مَا مَاتَ أَبُوهُ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمُ الآنَ سَاكِنُونَ فِيهَا. **وَلَمْ يُعْطِهِ فِيهَا**

مِيرَاثًا وَلاَ وَطْأَةَ قَدَمٍ وَلَكِنْ وَعَدَ أَنْ يُعْطِيَهَا مُلْكًا لَهُ وَلِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَعْدُ وَلَدٌ" (أع ٧: ٢-٥).

هنا يكشف لنا الشهيد إسطفانوس بالروح القدس نقطة هامة وهي أن المسيح لم يظهر لإبراهيم فقط وهو يذبح ابنه إسحق إنما **ظهر له أيضًا حينما دعاه للخروج** من أرضه وعشيرته. يعتبر هذا هو أول ظهور مميز في حياة إبراهيم.. إنه **ظهور الدعوة**..

كان خروج إبراهيم على مرحلتين: الأولى حينما سكن في حاران، والثانية حينما انتقل من حاران إلى أرض كنعان.

ثم تستوقفنا عبارة جميلة قالها القديس إسطفانوس عن معاملة الله مع إبراهيم فيما يخص أرض الموعد أنه "**لَمْ يُعْطِهِ فِيهَا مِيرَاثًا وَلاَ وَطْأَةَ قَدَمٍ**".

لم يأخذ إبراهيم من الأرض سوى مغارة المكفيلة حيث دفن سارة ثم دُفن هو أيضًا. وبذلك تعتبر مغارة المكفيلة رأس

جسر نحو العالم الآخر، لم يمتلكها إبراهيم ليسكن فيها هو أو سارة إنما وضعت فيها أجسادهما بعد موتهما.

حياة الغربة في الرهبنة

إن حياة الغربة هي من أهم المبادئ الرهبانية. يقول القديس برصنوفيوس [غرباء نحن يا أخي فلنكن غرباء بالتمام].[١٦] وقال [إن محبة المسيح غربتنا عن البشر والبشريات].[١٧] ويقول المزمور "غَرِيبٌ أَنَا فِي الأَرْضِ. لاَ تُخْفِ عَنِّي وَصَايَاكَ" (مز ١١٩: ١٩)، وأيضًا "ويل لي فان غربتي قد طالت على وسكنت في مساكن قيدار" (مز ١٢٠: ٥).

يقول الشيخ الروحاني: [**أولئك الذين أشرقت عليهم بشعاع من حبك لم يحتملوا السكنى بين الناس**].[١٨] أي أن الذين يشرق عليهم الرب بشعاع من حبه يشعرون بغربة ولا يحتملون الحياة وسط الناس.

---

[١٦] بستان الرهبان، صفحة ١٦٠.

[١٧] بستان الرهبان، صفحة ٢١٥.

[١٨] ميامر وتعاليم الشيخ الروحاني، مكتبة دير السريان ٢٠١٥، صفحة ١١٧.

يعيش الراهب غريبًا ولا يجد تعزيته إلا مع الله ومع الملائكة. من أجل ذلك كتب مثلث الرحمات البابا شنودة الثالث عن الراهب في قصيدته بعنوان "**غريب**":

غريبًا عشت في الدنيا نزيلاً مثل آبائي

وحتى الوجود في الدير لا يوصله إلى الغربة التي يريدها، فكتب في قصيدة "**سائح**":

أنا في البيداء وحدي ليس لي شأن بغيري
لي جحر في شقوق التل قد أخفيت جحري
وسأمضي منه يومًا ساكنًا ما لست أدري
سائحًا أجتاز في الصحراء من قفر لقفر
ليس لي دير فكل البيد والآكام ديري
لا ولا سور فلن يرتاح للأسوار فكري
أنا طير هائم في الجو لم أشغف بوكرِ
أنا في الدنيا طليق في إقامتي وسيري
أنا حر حين أغفو حين أمشي حين أجري

وغريب أنا أمر الناس شيء غير أمري

حتى المغارة لا يريد أن يسكن فيها طويلاً، أي يريد أن يتغرب حتى عن المغارة. هذه المعاني هي خلاصة التأمل في حياة قديسي الرهبنة كما عبَّر عنها قداسته في كلمات بسيطة. ليتنا نتأملها كلمة كلمة ونستفيد منها.

أقول هذا لكي نعرف كيف أن **أشواق الرهبنة الحقيقية مرتبطة بفكرة الغربة**. والغربة تكون حتى بالنسبة للقلاية، أي أن يشعر الراهب حتى داخل القلاية أنه غريب، فإن قالوا له مثلاً انتقل من هذه القلاية واذهب لأخرى ينتقل بسهولة. يشعر أنه غريب حتى داخل الجلباب التي يرتديه.

إننا سوف نقف في خجل أمام أبينا ابراهيم الذي تغرَّب ولم يأخذ ولا وطأة قدم في أرض الغربة وهو لم يكن راهبًا.

الإنسان الذي يحيا حياة الغربة ينطبق عليه قول سفر النشيد **"أُخْتِي الْعَرُوسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ"**

(نش٤: ١٢). عنده **أسرار داخلية** لا أحد يعرفها. الناس تحتار فيه. **الغريب لغته غريبة، وشكله غريب، وتصرفاته غريبة.** الراهب الذي يحيا حياة الغربة الناس لا تفهمه. قال عنه قداسة البابا شنوده الثالث في القصيدة:

يحار الناس في ألفي ولا يدرون ما بائي

لغته غير مفهومة بالنسبة لهم. **لديه أسرار مكنونة في علاقته مع الله** لا يستطيع أحد أن يفهمها. هو قليل الكلام ولا يكشف أسراره مع الله لأحد من الناس. هو طائر هائم في الجو لا أحد يقدر أن يمسك به، يقول "غريبًا في أساليبي وأفكاري وأهوائي".

من الأمور التي تفسد الغربة في حياة الرهبنة الدالة والصحبة بين الرهبان أو الراهبات بعضهم البعض وأيضًا الدالة مع العلمانيين.

والراهب الذي يحيا حياة الغربة يحب **ألا يكون معروفًا من الناس**. يقول لنفسه [أنا، ومن يحسبني أنا شيئًا][19] كما قال القديس برصنوفيوس. لا يهمه إن الناس تعرفه أو حتى تسمع عنه. بل إن معلمنا بولس الرسول يقول: "صِرْنَا كَأَقْذَارِ الْعَالَمِ وَوَسَخِ كُلِّ شَيْءٍ" (١كو٤: ١٣)، "وَلَسْنَا نَجْعَلُ عَثْرَةً فِي شَيْءٍ لِئَلاَّ تُلاَمَ الْخِدْمَةُ" (٢كو٦: ٣) وقال: "نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ. نُضْطَهَدُ فَنَحْتَمِلُ. يُفْتَرَى عَلَيْنَا فَنَعِظ" (١كو٤: ١٢،١٣).

والراهب الذي يعيش حياة الغربة **لا يهمه نظرة الناس له ولا رأي الناس فيه.**

في قصة أبونا أنسطاسي، من تأليف مثلث الرحمات البابا شنودة الثالث، ذكر أن أبونا أنسطاسي وجد نفسه غير قادر أن يخرج من الطافوس بعد دفنه. فعاش في الطافوس، وكان يسمع الرهبان في الخارج يتكلمون عنه سواء بمديح أو بذم. فلم يقدر أن يشكرهم على المديح، ولا أن يعاتبهم على الذم،

[19] بستان الرهبان، صفحة ٣١٢.

أو يراجعهم بأن شيئًا مما ذكروه لم يحدث. كان قصد قداسة البابا شنوده الثالث من هذه القصة أن يقدِّم درسًا بأن الراهب الذي يعيش في الدير لابد أن **يعيش كأنه ميت** داخل الطافوس، **فلا يتأثر بالذم ولا بالمديح.** لأن الرهبنة الحقيقية هي أن **الراهب لا يهمه رأي الناس فيه.** كما أن هذه القصة تبيِّن أن الراهب **لا يمتلك قلاية،** فقلايته هي الطافوس.

والراهب الذي يحيا في حياة الغربة **لا يهمه إن أتى أفراد أسرته لزيارته أم لم يأتوا.** إن أتوا يقابلهم لكي لا يتعبوا. أما بالنسبة له فإن يوم زيارة الأسرة لا يكون مريحًا خاصة إن كانوا يأتونه بأخبار العالم ويدخلونه في أمور تعطِّل مسيرته الروحية. الذي يحيا حياة الغربة لا يشتاق لأسرته أو أصدقائه أو مخدوميه.. **لا يشتاق ولا حتى لأب اعترافه** ولا إلى أحد من الذين كان مرتبطًا بهم في العالم لأنه دخل إلى حياة الغربة. ولسان حاله يقول مع قصيدة "همسة حب" لمثلث الرحمات البابا شنوده الثالث:

وكذاك الأذن لقد أخليتها من حديث الناس حتى أسمعك

في حياة الغربة يكون الراهب **غريبًا بالنسبة للناس والناس غرباء بالنسبة له.** يكون غريبًا عن الأهل وعن الأصدقاء.

والراهب عليه أن يحرص ألا يعوض ما فقده في العالم بارتباطات وعواطف في الدير، فيكون مجرد أنه استبدل شخصيات بشخصيات أخرى ولم يستفد شيئًا. بل يقول [محبة المسيح غربتني عن البشر والبشريات].[٢٠] من الأخطاء أن يستبدل الرهبان الصداقات التي كانت في العالم بصداقات أخرى داخل الدير مع زملائهم في الرهبنة أو مع زوار الدير.

نسمع عن قديسين عاشوا عشرون أو خمسون أو حتى سبعون سنة لم يروا فيها وجه إنسان. لم يرَ وجه إنسان لأنه غريب.

تطبيقات بأمثلة عملية أخرى على حياة الغربة:

[٢٠] بستان الرهبان، صفحة ٢١٥.

- إن كان أحد الرهبان طبيبًا عليه أن يقدِّم الدواء ويعطي التوجيهات الطبية اللازمة ويعمل الخدمة الطبية المطلوبة للمحتاج ثم يطير عائدًا إلى قلايته كالعصفور.
- إن ذهب أحد لإحضار دواء من الصيدلية، يأخذ ما يلزمه ويطير كالنسمة.
- **الصمت** هو تدريب على حياة الغربة بمعنى أن يتقابل الرهبان ولا يتكلمون، هذه غربة جزئية.
- الرهبان الذين يحيون حياة الغربة حينما يكونون وسط مجموعة يكونون كغرباء كأنهم ليسوا من هذا الدير، **ولا يعرف أحد شيئًا عنهم ولا هم يعرفون شيئًا عن غيرهم**، بل يكونون متغربون في المكان. مثلما قال تلميذي عمواس للسيد المسيح: "هَلْ أَنْتَ مُتَغَرِّبٌ وَحْدَكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمِ الأُمُورَ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ" (لو٢٤: ١٨). **يكون الراهب كأنه متغرب لا يعرف ما يدور حوله من أحداث.**

- **الهروب من الأخبار ومن الخلطة** فيكون الراهب مثل طائر يصعب الإمساك به، وحينما يكلمه أحد في موضوع يعرف كيف يفلت بسرعة ويهرب. كما قال القديس مكاريوس الكبير [فروا يا إخوة، فقال الإخوة: أيها الأب كيف نهرب أكثر من مجيئنا إلى البرية؟ فوضع يده على فمه وقال: من هذا فرّوا].[٢١]

هل الرهبنة صعبة؟

البعض يقولون إن الرهبنة صعبة مع أن الرهبنة هي أسهل طريق للوصول إلى الحياة الأبدية، وأسهل طريق للحياة مع الله. الحقيقة هي أن الوجود في العالم هو الصعب.

لكن الرهبنة تحتاج أن يلتزم الذي يسير فيها بمبادئ معينة، هي ليست صعبة، لكن تحتاج أن يكون الشخص مؤمنًا بها في قرارة نفسه. وإذا هو التزم بهذه المبادئ يحيا سعيدًا. أن الصعوبة تبدأ عندما يكون هناك صراع بين المبدأ الرهباني

[٢١] بستان الرهبان، صفحة ٢٧.

وبين الأهواء العلمانية. الإنسان الذي يدخل في طريق الرهبنة لابد أن يموت عن العالم.

الرهبنة هي موت عن الذات

إن الموت عن العالم يتضمن أمراً هاماً جدًا لابد أن يموت الإنسان عنه، هذا الأمر هو الشخص نفسه أي **الذات**. وفي ذلك قال السيد المسيح "**إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَتْبَعْنِي**" (لو٩: ٢٣). وقال أيضًا "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ. مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ. إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي فَلْيَتْبَعْنِي وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضًا يَكُونُ خَادِمِي. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي يُكْرِمُهُ الآبُ" (يو١٢: ٢٤-٢٦).

أتى شخص يريد أن يتبع السيد المسيح وقال له "ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلًا وَأَدْفِنَ أَبِي، فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ اتْبَعْنِي وَدَعِ الْمَوْتَى

يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ" (مت٨: ٢١،٢٢). أي أن السيد المسيح لم يسمح لهذا السائل أن يحضر جنازة والده. فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة لشخص عادي فكم بالأولى بالنسبة للرهبان والراهبات.

إذا مات أحد عن العالم كله ولم يمت عن ذاته تكون ذاته هي أكبر كارثة تلازمه. لو قطع علاقته بالأهل لكن ذاته موجودة معه في القلاية، لو قطع علاقته بإخوته في الدير لكن ذاته موجودة معه في القلاية، لو قطع علاقته بالمعارف والأصحاب والعلمانيين لكن ذاته موجودة معه في القلاية، تكون الذات هي أكبر عدو له.

لو أردنا أن نرى الرهبنة بمنظور صحيح نقول إن **الرهبنة ليست هي موت عن العالم بقدر ما هي موت عن الذات.** فبداية الطريق هي أن يموت الإنسان عن ذاته وبعد ذلك يموت عن العالم.

لا يصح أن يدخل شخص إلى طريق الرهبنة وتظل ذاته هي المسيطرة. يجب أن يموت عن ذاته أولاً حتى يقدر أن يصير تلميذًا للمسيح، وبعد أن يصير تلميذًا للمسيح يترقى درجة بأن يموت عن العالم، أي أن يترك العالم ويخرج إلى حياة الرهبنة.

الذات في قصة أيوب

في قصة أيوب سمح الرب للشيطان أن يجربه، ففقد كل ممتلكاته، ومات أولاده، وفقد كل شيء ولم يترك له إلا زوجته التي كانت توبخه وتقول "أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ! بارِكْ اللهِ وَمُتْ" (أي ٢: ٩) وهذه العبارة بها تورية، فهي تعبير مؤدب كانت تريد به أن تقول لأيوب: إلى متى تشكر الله؟ تذمر أو جدف على الله ومت! لذلك رد عليها مؤنبًا "تَتَكَلَّمِينَ كَلاَمًا كَإِحْدَى الْجَاهِلاَتِ! أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟" (أي٢: ١٠).

ولما قال الرب للشيطان "هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ! رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللهَ

وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. وَإِلَى الآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ وَقَدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لأَبْتَلِعَهُ بِلاَ سَبَبٍ. **فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: جِلْدٌ بِجِلْدٍ وَكُلُّ مَا لِلإِنْسَانِ يُعْطِيهِ لأَجْلِ نَفْسِهِ.** وَلَكِنِ ابْسِطِ الآنَ يَدَكَ وَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ" (أي ٢: ٣-٥).

الشيطان يعرف أن أهم شيء بالنسبة للإنسان هو ذاته وإنه إن فقد الإنسان كل شيء فإن ذلك لا يساوي شيء مقارنة بذاته.

الشيطان يعرف نقطة الضعف التي يحارب الإنسان بها، فهو محترف في الحرب الروحية ضد الإنسان، ويفهم أن الذات هي نقطة الضعف بالنسبة له، حتى أنه قال لله "جِلْدٌ بِجِلْدٍ وَكُلُّ مَا لِلإِنْسَانِ يُعْطِيهِ لأَجْلِ نَفْسِهِ" (أي٢: ٤).

لكن الله يفهم الشيطان ويعرف مكره وألاعيبه، هو يتركه يتحرك في مساحة محددة لا يسمح له أن يتعداها.

كان الله يعلم في النهاية ما سيصل إليه الشيطان مع أيوب، وكان الله قد جهَّز تعويضًا لأيوب عن المآسي والكوارث

والتجارب التي سوف تحل به، أي أنه كانت في خطة الله في النهاية أشياء رائعة جدًا مجهزة لأيوب.

الله يعلم أن أغلى شيء بالنسبة للإنسان هو ذاته، لذلك قال السيد المسيح بمنتهى الوضوح "مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا و**مَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ**" (يو١٢: ٢٥).

إن موت الراهب عن العالم هو الجانب السهل من موضوع الموت. هذا يوازي فقدان أيوب لممتلكاته وبيته وأولاده الخ. كما احتمل أيوب الأمراض وظل صابرًا حتى عندما ضُرب من قمة رأسه إلى أخمص قدميه. لقد ظل صابرًا من جهة كل الآلام والأوجاع التي أصابته، لكن الشيء الذي لم يحتمله هو إتهام أصحابه له بعدم التقوى وبأن الله ينتقم منه بسبب خطاياه.. هذا ما لم يستطع أن يحتمله.

لم يحتمل أن يُتهم بأنه خاطئ أو أن تنسب إليه خطايا لم يرتكبها. فبدأ يتشاجر مع الله. وقال لله "تَسْتَذْنِبْنِي. فَهِّمْنِي

لِمَاذَا تُخَاصِمُنِي! أَحَسَنٌ عِنْدَكَ أَنْ تَظْلِمَ" (أي١٠: ٢،٣)، "تَسْتَذْنِبُنِي لِكَيْ تَتَبَرَّرَ أَنْتَ؟" (أي ٤٠: ٨)، "كُفَّ عَنِّي فَأَتبلج قَلِيلًا" (أي١٠: ٢٠).

عندما وصلت الحرب إلى الذات وعندما مست الحرب كرامته، وليس جسده، تعب أيوب.

(هذا يبين كم احتمل السيد المسيح عندما حمل خطايا غيره "لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (٢ كو٥: ٢١). وقال إشعياء النبي عن السيد المسيح بوضوح "وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا" (أش٥٣: ٤،٥). لقد أظهر السيد المسيح الكمال المطلق في هذا الأمر.)

إذن الموت عن الذات والكرامة يعتبر الاختبار الأصعب.

هل الراهب يفرح إذا اتهم بخطأ عمله غيره؟ إذا فرح، في هذه الحالة يكون قد دخل في طريق الموت عن الذات. طبعًا لا

نصل إلى هذه الدرجة بين يوم وليلة، لكن هذا هو موضوع جهاد حياة الإنسان كلها، يبدأ من قبل الرهبنة وينمو في الرهبنة حتى يصل إلى درجة الكمال.

وطبعًا من المعروف أن احتمال الإهانة أسهل من احتمال الكرامة. فالإهانة تفيد الإنسان روحيًا لكن الكرامة تضره؛ ولذلك قال القديس برصنوفيوس [إن كنت تقول إنك حسنًا قلت وحسنًا فهمت، فلا حسنًا قُلت ولا حسنًا فهمت].[٢٢] ويقول الكتاب "لَيْسَ مَنْ مَدَحَ نَفْسَهُ هُوَ الْمُزَكَّى، بَلْ مَنْ يَمْدَحُهُ الرَّبُّ" (٢كو ١٠: ١٨).

تدريبات يحتاجها الإنسان لكي يعيش إنكار الذات

- لا يفتخر بأي عمل جيد يعمله.
- يهرب من المديح.
- يمارس تدريبات الاتضاع.
- لا يقاطع المتكلم.

[٢٢] بستان الرهبان صفحة ٣٦٥.

- لا يغضب إذا وجه إليه أحد توبيخ، بل يفرح بالتوبيخ ويحب موبخه.
- لا يعتزل خوفاً من أن يقدَّم له النصح، ولا يغتاظ من النصيحة كما يقول سفر الأمثال "الْمُعْتَزِلُ يَطْلُبُ شَهْوَتَهُ. بِكُلِّ مَشُورَةٍ يَغْتَاظُ" (أم١٨: ١).
- يحارب أفكار السبح الذاتي عندما يجلس مع نفسه، أي يحارب أفكار مدحه لنفسه.
- يتذكر خطاياه وضعفاته.
- تكون كلمة "حاضر" و"أخطأت" دائمًا على لسانه.
- إذا نسيه إخوته أثناء توزيع شيء (مزامير، صلوات، ملابس، أطعمة، إلخ.) يفرح ويقول جيد إنهم نسوني لأني ميت، ذاتي ماتت وموضوعة في الطافوس.
- لا يتعب إذا عمل مجهود في مجال ما ولم يُشكر عليه، لأن السيد المسيح قال للذين يطلبون الأجر "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ" (مت٦: ٥). الشيء الذي

تعمله ولا يشكرك أحد عليه هو ما سوف تأخذ عنه الأجر عند الله، أما ما تنال عنه شكرًا فقد استوفيت أجرك عنه على الأرض.

- إذا قال رأيًا ولم يؤخذ به يفرح لأنه لا يريد أن تكون له كلمة مسموعة. وإن ثبت بعد وقت أن رأيه كان هو الصائب لا يسمح لفكره أن يمدحه قائلاً في نفسه "الآن سوف يعرفون قيمتي وإن كلامي هو الصح"، بل يقول "ربنا هو الذي عمل، وأنا لا أستحق عمله معى. أنا مخطئ في أمور كثيرة". أحيانًا يتظاهر الإنسان بالتواضع، ولكن في داخله بينه وبين نفسه ينتقم لكرامته.

موضوع الموت عن الذات موضوع يحتاج إلى جهاد وتداريب طوال العمر.

الباب الرابع

تقديم النذور الرهبانية

- **الاقتناع بالطريق والثبات فيه**
- **تخت سليمان حوله ستون جبارًا**
- **الحياة داخل الفلك**
- **النذور الرهبانية**

١-الطاعة.

٢-البتولية.

٣-الفقر الاختياري.

الباب الرابع

تقديم النذور الرهبانية

الاقتناع بالطريق والثبات فيه

يلبس المبتدئ في حياة الرهبنة زيًا مميزًا وبهذا يبدأ في إعداد نفسه والاستعداد لتقديم النذور الرهبانية. إن الفترة التي يقضيها المبتدئ في الدير إلى أن تتم رهبنته عليه فيها أن يتأكد من ثباته في طريق الرهبنة والحياة في الدير، وإنه لن يتراجع إطلاقًا مهما كان السبب، ولو أدى إلى الموت.

لابد أنكم قرأتم عن سير بعض الشهيدات اللائي فضّلن الاستشهاد بعد الرهبنة على كسر نذر البتولية.

الذي يساعد على تنمية الشعور بعدم التراجع إطلاقًا مهما كانت الأسباب هو **محبة الطريق والتأكد من أن طريق الرهبنة هو أفضل بكثير** من الحياة في العالم والشرور الموجودة فيه. وأيضًا **شعور المبتدئ أنه بدأ يهتم بأبديته**

وخلاص نفسه، وأن **طريق الرهبنة هو أكثر أمنًا** على خلاصه من أي طريق آخر. في الدير يستطيع الإنسان أن **يفحص نفسه جيدًا،** وأن يكتشف أخطاءه، وأن **يدقق في حفظ وصايا الله،** ويكون أمينًا في تنفيذها، و**يجاهد** من أجل الغلبة والانتصار **متفرغًا للحرب** الروحية من أجل خلاص نفسه وأبديته.

ليس هناك طريق يقدِّم للإنسان فرصة للاهتمام بأبديته وخلاص نفسه مثل طريق الرهبنة، مهما حاول العالم أن يقنع الإنسان أن هناك طريقًا آخر، أو أن يسهِّل للإنسان الأمور ويقنعه بأنه ليس هناك ضررًا من الحياة في العالم. إن **الحياة في العالم محفوفة بكثير من المخاطر الروحية.**

حقًا إن عدو الخير لا يترك إنسان دون أن يحاربه سواء كان في الرهبنة أو في العالم، لكن **في طريق الرهبنة تكون حروب الشياطين واضحة ومعروفة.** الراهب يقدر أن يجعل الهدف واضحًا أمامه في كل حين، يقدر أن يهتم بالتفكير في وصايا الله

وأن يلهج فيها نهارًا وليلاً، يقدر أن يجد وقتًا لمراجعة النفس وفحصها جيدًا ومحاسبتها وتبكيتها على خطاياها.

وفي الرهبنة حتى إن حاربت الشياطين الراهب فإنه **يجد القدوة** فيمن سبقوه في الطريق ممن أحبوا الرهبنة وسلكوا فيها.

أيضًا يكتسب الراهب حرارة روحية من وجوده في **الجو الروحي** باستمرار وسط حياة التسبيح والصلاة. لذلك دائمًا أقول لكم جاهدوا ولا تمارسوا التسبحة أو الصلوات كإنها مجرد روتين، لأنه ربما في وسطكم من يحتاج إلى سندة روحية، فإن رأى من حوله يُسبِّحون بحرارة تسري في كيانه نفس الحرارة، وتعطيه قوة يستطيع بها أن يستمر في الطريق. إن المبتدئ مجرد أن يرى راهبًا يقف بخشوع وانسحاق واتضاع ودموع أثناء الصلاة، وفي حرارة ولذة التسبيح والعشرة مع ربنا، مجرد هذا الجو الروحي يسنده ويساعده ويقويه.

تخت سليمان حوله ستون جبارًا

إن الإنسان في حياته في الدير لا يسعى فقط لخلاص نفسه إنما لابد أيضًا أن **يكون له تأثير في حياة الآخرين**. فإذا استطاع أن يسلك في الطريق الروحي باستقامة، يقدر أن **يساعد إخوته** أن يسلكوا هم أيضًا في نفس الطريق، وأن يتسلحوا ضد الحروب الروحية. والإنسان في حياة الرهبنة يشعر أن صلوات الأخوة تسنده.

إن الشياطين تلف حول أسوار الدير صارخة من صلوات الرهبان وتسابيحهم. **فالراهب موجود داخل كتيبة أو لواء مدجج بالأسلحة الروحية**، وحتى لو كان مسكينًا وليست له أية امكانيات شخصية إلا أن وجوده وسط المدرعات القوية تجعل له قيمة أو على الأقل تستطيع أن تحميه وتدافع عنه، وأيضًا تحثه وتحفزه للفضيلة مثلما قال معلمنا بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين "وَلْنُلاَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضًا لِلتَّحْرِيضِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ" (عب١٠: ٢٤).

أحيانًا تشعر أن هناك من يحتاج إلى سندة روحية فيمن حولك، في هذه الحالة عليك أن تصلي له بحرارة وبقوة تلقائيًا بدون كلام.

أريدكم أن تصلوا بعضكم من أجل بعض، أي كل منكم يصلي من أجل كل إخوته، فإن وجد عدو الخير المجمع الرهباني كله يصلي من أجل أخ أو راهب واحد فإن هذا يرعبه ويبعده. سفر نشيد الأناشيد يقول "هُوَذَا تَخْتُ سُلَيْمَانَ حَوْلَهُ سِتُّونَ جَبَّارًا مِنْ جَبَابِرَةِ إِسْرَائِيلَ كُلُّهُمْ قَابِضُونَ سُيُوفًا وَمُتَعَلِّمُونَ الْحَرْبَ. كُلُّ رَجُلٍ سَيْفُهُ عَلَى فَخْذِهِ مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ" (نش٣: ٧،٨).

إن تخت سليمان يمثل كل راهب، وتخت سليمان ليس مثل أي تخت ولكنه التخت الذي يحمل الملك، وهو يمثِّل القلب الذي يحمل المسيح بداخله. تذكروا دائمًا أن حولكم ليس فقط ربوات ومحفل ملائكة ولكن حولكم أيضًا مقاتلين جبابرة في الحياة الروحية، أي أخوتكم المصلين من أجلكم.

أرجو أن تصلوا من أجل بعضكم البعض، ويمكنكم كتابة أسماء مجمعكم الرهباني كله حتى لا تنسوا أحدًا.

الحياة داخل الفلك

لو أتى للمبتدئ فكر من الشيطان أن الحياة في العالم أسهل من طريق الرهبنة، يرد عليه بثقة وبقوة بأنه من المستحيل أن تكون الحياة في وسط الأمواج المتلاطمة أسهل من الحياة داخل سفينة النجاة. إن قال أحد من الذين كانوا داخل فلك نوح إن الحياة داخل الفلك أصعب من الحياة خارجه هذا معناه أنهم يريدون الانتحار.

هنا ونريد أن نذكر نقطة هامة هي أن الحيوانات المفترسة مثل الأسود مثلاً لم تكن تأكل الحملان في الفترة التي كانوا فيها داخل الفلك. لأنهم لو أكلوا الحملان لانتهت كلها ولم يجد نوح ما يقدمه ذبيحة لله بعد خروجه من الفلك. لقد عاشت الحملان مع الأسود في الفلك طوال مدة الطوفان ولم تمسها

بأذى، لكن بعدما انتهى الطوفان وخرجوا من الفلك عادت الأسود تأكل الحملان مرة أخرى لأن فترة الأمان انتهت.

يقول المبتدئ لنفسه أنا دخلت الفلك وأغلق الله عليّ، لقد سلَّمت حياتي في هذا الموضع ولا حياة لي خارجه. إن أفضل شيء بالنسبة لي هو أن أمكث داخل الفلك حتى تبدأ الحياة الجديدة، عندما أنطلق من هذا العالم الحاضر إلى أحضان القديسين في الحياة الجديدة.

طبعًا الحياة داخل الفلك كانت شاقة، ولم تكن سهلة، وفيها كثير من النسك والتقشف والحرمان من الملاهي العالمية، والبعد عن العلاقات الاجتماعية. والذين في الفلك كانوا يحيون وكأنهم لا يحيون، كانوا محاطين بالموت من الخارج، فكان لهم في أنفسهم حكم الموت، أي أنهم كانوا في عداد الأموات. فالأمواج كانت تتلاطم، وهم لا يعرفون متى سيخرجون. لذلك يشبهون الفلك بالمعمودية التي قال عنها معلمنا بولس الرسول "فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ" (رو٦:

٤). ويقول معلمنا بطرس الرسول "إِذْ كَانَ الْفُلْكُ يُبْنَى، **الَّذِي فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ، أَيْ ثَمَانِي أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ**" (١بط ٣: ٢٠).

أقول للمبتدئين في الرهبنة جهزوا أنفسكم لكي يُغلق الله عليكم باب الفلك فتنجوا من طوفان بحر هذا العالم. من يدخل إلى داخل الفلك لا يندم. بالعكس الذين ندموا هم الذين لم يصدِّقوا نوح ورفضوا دخول الفلك.

مهما كان الراهب يشعر أن قلايته مثل أتون نار، أو أن الدير مثل ثقب إبرة، أو أن هناك أمورًا تتراكم فوق رأسه فلا يهمه. لقد غرس الوتد ولن يُنزع من مكانه، أي لا يمكن أن يخرج من طريق الرهبنة أو حياة الدير مهما كان. هو متمسك بهذا الطريق الذي اختاره لنفسه أو الذى اختاره له الله لخلاص نفسه في حماية الله وحراسة الكنيسة وشفاعة القديسين.

النذور الرهبانية

نذور الرهبنة الثلاثة هي:

١-الطاعة.

٢-البتولية.

٣-الفقر الاختياري.

الشيطان عندما يحارب الرهبان يحاربهم في هذه النذور الثلاثة الأساسية أو إحداها. ومن الممكن أن يكون الراهب حريصًا في أحد النذور لكنه قد يتهاون في النذرين الآخرين. أو يكون حريصًا في نذرين ويتهاون في النذر الثالث وهذا وضع غير سليم لأن الراهب لابد أن يلتزم بالنذور الثلاثة.

أولاً الطاعة

مِن أهم النذور في الرهبنة نذر "الطاعة"، وقد قال القديس الأنبا أنطونيوس: [الطاعة والمسْكنة يخضعان الوحوش لنا][٢٣] (المقصُود بالوحوش هنا الشياطين).

[٢٣] بستان الرهبان، صفحة ١٧٩.

السيد المسيح نفسه هزم الشيطان وكل مملكته بطاعته للآب. والمقصود بطاعة الابن للآب أنه أخذ شكل العبد ومات على الصليب. فيقول معلمنا بولس الرسول عن الابن "لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ **نَفْسَهُ وَأَطَاعَ** حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللَّه أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ" (في٢: ٧-٩). وبهذه الطاعة قهر الشيطان ودَمَّرَ الجحيم، وحَرَّر المَسبيين. هكذا فإن الإنسان **المُطيع يتشَبَّه بالسيد المسيح** في طاعته للآب السماوي فترتعب منه الشياطين.

على أن تكون الطاعة في إطار وصية اللَّه، وليس ضدها.

الرهبنة هي موت عن العالم، والطاعة في الرهبنة تتضمن الموت عن الذات أي عدم إتمام المشيئة الشخصية. وتتضمن أيضًا الموت أو الانحِلال عن الكُل والارتباط بالواحد.

الراهب الحقيقي يفرح بالطاعة في الأمور التي ليست على هواه والتي فيها قطع المشيئة. ويقول الآباء: [لستُ أعرف للراهب سقطة إلا إذا صنع هواه، فإذا نظرتَ راهبًا قد سقط فاعلم أنه بهواه. لأنه فعل برأي نفسه].[٢٤]

يذكر بستان الرهبان أن أحد الآباء [أخبر أنه أبصر أربع مراتب مرتفعة في السماء:

الأولى: مريض صابر شاكر لله.

الثانية: صحيح يضيف الغرباء وينيح الضعفاء.

الثالثة: منفرد في البرية مجتهد.

الرابعة: تلميذ ملازم طاعة أبيه من أجل الله.

ووجد أن مرتبة التلميذ أسمى من المراتب الثلاثة الأخرى، وزعم أنه سأل الذي أراه ذلك قائلاً كيف صار هذا هكذا وهو أصغرهم فأصبح أكبرهم مرتبة؟ فقال إن كل واحد منهم

[٢٤] بستان الرهبان، صفحة ٣١٨.

يعمل الخير بهواه وأما هذا فقد قطع هواه لله، وأطاع معلمه، والطاعة لأجل الله أفضل الفضائل.][٢٥]

إن الراهب الساكن في طاعة معلمه قد تمثل بالسيد المسيح الذي قدَّم طاعة كاملة لله الآب لذلك صارت مرتبته أسمى.

ثانيًا البتولية

البتولية مُهمة جدًا في حياة الرهبنة. وقد حارَب الشيطان الآباء القديسين كثيرًا في هذه الناحية. فكان يأتي للقديس الأنبا أنطونيوس في صورة نساء وراقصات، ولكن القديس كان ثابتًا في حربه ضد الشيطان، لأن الكتاب المقدس يقول "قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ" (يع٤: ٧). ورغم أن الحرب الشيطانية كانت شديدة عليه، إلا أنه كان صامدًا بجهادٍ رسولي. وعندما قاموا بِشَد قلنسوته وتَمْزيقها قام هو بإصلاحها وحِياكتها. لذلك يضع الرهبان والراهبات قلنسوة على رؤوسهم مشقوقة

[٢٥] بستان الرهبان، صفحة ١٨٠.

من المنتصف ومخاطة وعليها اثنى عشر صليبًا علامة على الجهاد الرسولي.

"وَأَيْضًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُجَاهِدُ لاَ يُكَلَّلُ إِنْ لَمْ يُجَاهِدْ قَانُونِيًّا" (٢تي٢: ٥). فطريق البتولية يتطلب جهاد وسهر ويقظة روحية مستمرة، ليس لفترةٍ معينةٍ من العمر وبعدها يتراخى الإنسان، إنما للعمر كله. لأن الشيطان من الممكن أن يحارب الإنسان حتى في شيخوخته. إذن يجب علينا السهر واليقظة والانتباه لحروب الشياطين حتى نهاية العمر.

ثالثًا الفقر الاختياري

يترك الراهب وظيفته كما يترك ممتلكاته وميراثه (للفقراء أو للكنيسة أو للأسرة)، يترك كل شيء يخص العالم، لكن الأهم هو أن يستمر في الترك ليحيا في الفقر الاختياري داخل الدير.

كيف يحيا الراهب في الفقر الاختياري داخل الدير؟

إن ممارسة الفقر الاختياري داخل الدير تكون **بألا يطالب** الراهب بشيء، وإذا لم يوَزَّع عليه شيء تم توزيعه للجميع

يفرح أنهم نسوه. كما أنه **لا يُخزن** شيء في قلايته، **ولا يتعلَّق** بأي شيء عنده، بمعنى إن أُخذ منه شيء لا يُبالي ولا يَغضب ولا يسأل عنه أو يطالب باسترجاعه.

كما يجب أن يتوافَر لدى الراهب **عدم الاهتمام بالقِنية** حتى في الأدوات التي يحتاجها للعمل داخل الدير (لكن هذا لا يعني الاسْتهتار في التعامُل مع أدوات الدَير).

إن الشيطان فيما يخص موضوع الفقر الاختياري من الممكن أن {يخرج من الباب ويدخُل من الشباك}. فمثلاً: راهب يعمل في مكتبة الكتب والهدايا بالدير فيهتم بزيادة إيراداته حتى أنه يتشددْ في الأسعار، بحجة أنه يريد زيادة دخل الدير فتُسَبِّب له زيادة المبيعات راحة، هذا ضد الفقر الاختياري. آخر يفرح عندما يتبرع أحد بأشياء عينية للدير، ويحزن إن أخذ أحد شيئًا مجانًا كهدية، هذا ضد الفقر الاختياري لأن الكتاب يقول "مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ" (أع ٢٠: ٣٥). ثالث مسئول عن حجرات الضيافة، يحب أن تكون الأثاثات فخمة

وباهظة الثمن، هذا أيضًا ضد الفقر الاختياري. إن الفقر الاختياري ينعكس على كل تصرفات الإنسان، حتى في تعاملاته فيما يخص الدير.

يجب أن يكون الراهب **زاهدًا في المال**، يتساوى الذهب عنده مع التراب. بمعنى ألا يكون للذهب والمال أية قيمة في نظره.

أما أن يترك الراهب ميراثه خارج الدير ثم يُحَارِب داخل الدير مِن أجل الحصول على الأموال فهو مخدوع خدعة شيطانية! والراهب في هذه الحالة يكون مقتنعًا أنه زاهد في أمور الدنيا بحجة أن ما يعمله هو من أجل صالح الدير ولكنهُ في الحقيقة يكون مُحارَبًا بحب المال والقنية.

من ناحية أخرى، الفقر الاختياري **ليس بارتداء الملابس المُمزَّقة** حينما يكون ذلك للتباهي أمام الناس للدلالة على أن الراهب وصل إلى درجة من القداسة، إنما الفقر الاختياري هو حالة قلبية داخل القلب.

والفقر الاختياري عندما يكون قويًا داخل القلب؛ فإنه **يُولِّد شعورًا بالافتقار للرب** أيضًا، وهذا ما قيل عنهُ "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت ٥:٣). كما يُولِّد في حياة الراهب **شعورًا بالافتقار لعمل الرب وإلى معونته** لأنه لا يملك أي شيء، كقول القديس بولس الرسول: "لأَنَّهُ مَنْ يُمَيِّزُكَ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ فَلِمَاذَا تَفْتَخِرُ كَأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ؟" (١كو ٤:٧)، أي إذا حَباك اللَّه بمواهب فلماذا تفتخر؟ إنها من الله.

يجب على الراهب أن يقول: أنا مُحتاج أنا شَحَّاذ. والشحَّاذ لا يفتخِر بِتسَوُّله، فالفَقْر الاختياري إذن ليس في الأمُور المادية فحسْب، ولكن في الأمور الروحية أيضًا وحتى في المواهب.

خطاب من
طالب الرهبنة مكرم اسكندر
(مثلث الرحمات نيافة الانبا بيشوي)

٢٣ بؤونة ١٦٨٤ ش

دير السيدة العذراء - السريان

وادي النطرون

CYN ✝ ΘΕω

الأخ الحبيب في الرب لويس

سلام أطلبه لك أيها الأخ المحبوب من الله وبركة ومحبة وفداء من الرب يسوع ومعونة وتعضيد من الروح القدس الساكن فيك

وصلتني رسالتك الحبيبة وكانت مصدر تعزية كبيرة لنفسي وإن كنت أبادلك نفس الشعور بأن الرسائل ليست هي الوسيلة التي نلتقي بها بقدر لقاؤنا في شخص الرب حبيبنا الفادي يسوع وبالروح الواحد الذي جمعنا ولا زال يجمعنا: روح المسيح القدوس الذي يشفع فينا بأنات لا ينطق بها.

في الحقيقة يا أخي الحبيب أن محبة الرب تحصرنا وتحوطنا وتقتادنا إلى ينابيع مياه الحياة ... الحياة مع الرب خاصة بعيداً عن ضوضاء العالم وانشغالاته وارتباطاته الكثيرة ولكن السنوات التي ... أن تقضيها في العالم تكون فرصة ثمينة لاكتشاف ضعفاتنا ونقائصنا حتى نخرج من العالم شاعرين ... احتياجنا لعمل الرب فينا. ويأتي الإنسان إلى البرية ليبدأ حياة جديدة مع الله ويجاهد مع الله لتتقوم نفسه من ضعفاته في طريق الكمال المسيحي. وإن كان الرب قد سمح لإنسان ضعيف وحقير مثلي أن يشترك في الخدمة فما هذا إلا من عظم حنانه ومحبته ليسيج حول ضعفي بسياج روحي وليحفظني معه إلى وقت الخروج من العالم. هناك أشخاص دعاهم الرب للخدمة فصار لزاماً عليهم أن يواصلوا الطريق للخدمة للنفوس ورعاية القطيع. وهناك من يدعوه الرب لأجل خلاص نفسه أن يترك الكل ويتخلى من كل الارتباطات لأجل خلاص هذه النفس. وكنت يا أخي الحبيب أشعر في مرات كثيرة أن خلاص نفسي يحتم عليّ أن ... العالم حتى كنت أشعر بأن خلاص روحي في التوبة الأخيرة من مجرد الوجود في العالم الذي ارتسم ... أنه قد شابه سدوم وعمورة

وكان صوت الرب إليّ:

"إهرب لحياتك لا تنظر إلى ورائك ولا تقف في كل الدائرة .. إهرب إلى الجبل لئلا تهلك"

ولا وقت لم أكن معانداً للدعوة الإلهية. فلعل الرب يترأف على ضعفي ليعينني على خلاص نفسي وصدقني يا أخي الحبيب أني محتاج لصلوات الكثيرين عني لأنه ليس لي عذر هنا في خطاياي وزلاتي فصلي عني أيها الأخ المحبوب من الله وصلواتك النقية مستجابة أمام الله.

وبالرغم من صعوبة الطريق والآلام والضيقات التي تصادف الإنسان في البرية إلا أن في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا وحمل الذي جاز عنا وضمن مستندين إلى نعمته ومعونته الصادقة لكل منتظريه وخائفيه.

سلام من الرب يسوع الملك لكم جميعاً وتحياتي الأخوة الأصدقاء الأخ مجدي ... والأخ فايز داود والأخ رجائي ... والأخ فايق والأخ منير والأخ إبراهيم نجيب والأخ مختار والأخ صابر والأخ نبيل وجميع إخوتك خدام كنيسة مار جرجس بالإسكندرية وكنيسة مار جرجس باسبورتنج.

بركة العذراء القديسة والدة الإله والقديس الأنبا بيشوي والقديس الأنبا يحنس كاما والقديس الأنبا بيشوي بركتهم ومحبتهم ونعمتهم ومعونتهم تكون معنا وتحفظنا غير عاثرين في محبة الإله

أخوك في المسيح

مكرم إسكندر

خطاب من طالب الرهبنة مكرم إسكندر
(مثلث الرحمات الأنبا بيشوى)

٢٣ بؤونه ١٦٨٤ ش
دير السيدة العذراء –السريان
وادي النطرون

الأخ الحبيب في الرب لويس

سلام أطلبه لك أيها الأخ المحبوب من الله وبركة ومحبة وفداء من الابن يسوع ومعرفة وتعضيد من الروح القدس الساكن فيك.

وصلتنى رسالتك الحبيبة وكانت مصدر تعزية كبيرة لنفسي وإن كنت أبادلك نفس الشعور بأن الرسائل ليست هي الوسيلة التي نلتقى بها بقدر لقائنا في شخص الرب حبيبنا الفادي يسوع وبالروح الواحد الذى جمعنا ولا زال يجمعنا: روح المسيح القدوس الذى يشفع فينا بأنات لا ينطق بها.

في الحقيقة يا أخي الحبيب إن محبة الرب تحصرنا وتحوطنا وتقتادنا إلى ينابيع مياه الحياة وما أجمل الحياة مع الرب

خاصة بعيدًا عن ضوضاء العالم وانشغالاته وارتباطاته الكثيرة ولكن السنوات التي يسمح لنا الرب أن نقضيها في العالم تكون فرصة ثمينة لاكتشاف ضعفاتنا ونقائصنا حتى نخرج من العالم شاعرين بضعفنا واحتياجنا لعمل الرب فينا. ويأتي الإنسان إلى البرية ليبدأ حياة جديدة مع الله ويجاهد مع الله لتقويم نقائصه وضعفاته في طريق الكمال المسيحي. وإن كان الرب قد سمح لإنسان ضعيف وحقير مثلي أن يشترك في الخدمة فما هذا إلا من عظم حنانه ومحبته ليسيج حول ضعفي بسياج روحي وليحفظني معه إلى وقت الخروج من العالم. هناك أشخاص دعاهم الرب للخدمة فصار لزامًا عليهم أن يواصلوا الطريق لخدمة النفوس ورعاية القطيع. وهناك من يدعوه الرب لأجل خلاص نفسه أن يترك الكل وينحل من كل الرباطات ليهتم بخلاص هذه النفس. وكنت يا أخي الحبيب أشعر في مرات كثيرة أن خلاص نفسي يحتم على أن أترك العالم حتى كنت أشعر بإختناق روحي في الآونة

الأخيرة من مجرد الوجود في العالم الذي ارتسم في مخيلتي أنه قد شابه سدوم وعمورة وكان صوت الرب إليّ: "اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلَّا تَهْلِكَ".[٢٦]

وللوقت لم أكن معاندًا للدعوة الإلهية.[٢٧] فلعل الرب يتراءف على ضعفي ليعينني على خلاص نفسي وصدقنى يا أخي الحبيب أني محتاج لصلوات الكثيرين عني لأنه ليس لي عذر هنا في خطاياي وتهاوني فصلي عني أيها الأخ المحبوب من الله وصلواتك النقية مستجابة أمام الله.

وبالرغم من صعوبة الطريق والآلام والضيقات التي يصادفها الإنسان في البرية إلا أنه في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا وهو الذي يحارب عنا ونحن مستندين إلى نعمته ومعونته الصادقة لكل منتظريه وخائفيه.

---

[٢٦] (تك١٩: ١٧)

[٢٧] (أنظر أع ٢٦: ١٩)

سلام من الرب يسوع أطلبه لكم جميعاً وتحياتي للأخوة الأحباء الأخ مجدى أنيس والأخ فايز داود والأخ رجائى جان والأخ فايق والأخ منير والأخ إبراهيم نجيب والأخ مختار والأخ صابر والأخ نبيل وجميع أخوتك الخدام بكنيسة مار جرجس بباكوس وكنيسة مار جرجس باسبورتنج.

بركة العذراء القديسة والدة الإله والقديس الأنبا يحنس كاما والقديس الأنبا بيشوى بركتهم ومحبتهم ونعمتهم ومعونتهم تكون معنا وتحفظنا غير عاثرين في محبة إلهنا.

أخوك في المسيح

مكرم إسكندر

فهرس

العنوان	الصفحة
إهداء	٩
مقدمة نيافة الأنبا ماركوس	١٢
قائمة بالأبواب	١٥
الباب الأول: الرهبنة حياة ملائكية	١٧
الباب الثاني: البداية القوية	٥٧
الباب الثالث: حياة الغربة	١٠١
الباب الرابع: تقديم النذور الرهبانية	١٢٩
خطاب من طالب الرهبنة مكرم إسكندر (مثلث الرحمات الأنبا بيشوى)	١٤٧